الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة د/ الطاهر مولاي –سعيدة -
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم الفلسفة
تخصص فلسفة إسلامية

مذكرة تخرج لشهادة ماستر تخصص فلسفة إسلامية الموسومة بـ:

تاريخية مفهوم أهل السنة والجماعة

إعداد الطالب:
الماحي مصطفى

تحت إشراف :
د/ محمد حفيان

السنة الجامعية : 2015 / 2016

الإهداء

إلى أمي الغالية التي سهرت الليالي من أجلي.

إلى أبي الذي كان دائما بجنبي

إلى ابنتي أسماء و شيماء

شكر و تقدير

إعمالا لقواعد الأدب واحتكاما لمنظومة الاعتراف بالجميل نتقدم بوافر الحمد للمولى عز وجل أن جعلنا من المنتظمين في سلك طلاب العلم فله الحمد الطيب الكثير المبارك فيه.

ونثني بالشكر لمن وقت قواعد الشكر بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من لم يشكر الناس لم يشكر الله (أخرجه الترميدي في الجامع)

كما أتوجه بجزيل الشكر والإمتنان لفضيلة الدكتور محمد حفيان الذي تحمل عناء الإشراف على هذا العمل من بداياته إلى أن استوى على سوقه فنحيله على خزائن المولى عز وجل.

دون أن أغافل السادة الأساتدة أصحاب النظر والتصويب لهاته الرسالة فلهم مني كامل الود وأجزله.

والشكر موصول ومعتصم لكل من كانت له أياد سابغة علينا في هذا العمل.

والحمد لله بدء وختما والصلاة والسلام على النبي وصفا وذاتا واسما.

مقـــــــــــدمة

مقدمة:

مرت الأمة الإسلامية العربية بأطوار زمنية متباينة رغم أن تاريخها الفاعل كان في ظل الخلاقة الإسلامية ، ولدت هذه المراحل الزمنية مفاهيم ومعارف وثقافات متنوعة رغم واحدية المصدر والمرجع وهو الذي تشترك فيه كل هذه الثقافات والأفكار ، إن هذه الثقافات المتباينة ترجع إلى مسميات لها شكل الترسم في الذاكرة الإسلامية وفي واقع المعرفة أيضا ، فالاسلام من حيث المصدر هو واحد ، فالوحي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان له الفضل في صياغة الثقافة والمعرفة الإسلامية لم يتغير ولم يتبدل وهو محفوظ كما قرأه من نزل عليه أولا لايزال على ما هو عليه يقرأه من هو في هذا العصر،ولكن تعددت القراءات لتعدد آليات الفهم وأساليب الاخذ ، فالشيعي له أصوله وقواعده في الفهم والسني له أصوله وقواعده في الفهم أيضا رغم أنهما يأخذان من ذات المصدر الذان يشتركان فيه مع غيره.

وبالرجوع الى التاريخ الإسلامي نلمس ذلك التأثير المباشر للسياسة في صياغة وتوجيه الفكر بصفة عامة فالحكم الاموي شجع القول بالجبر ونفى صفة الحرية عن الفعل الإنساني وذلك مما يجعل الانسان مسيرا لا مخيرا وكان لإشاعة هذا النوع من الأيديولوجيا دورا كبيرا في حضور وقوة سلطة الدولة وهيبة النظام واستمرار بقائه.

وعندما ولت وأفل نجمها جاءت طلائع العباسيين مبشرة بالفكر الاعتزالي وهو المذهب القائم على إطلاق مفهوم الحرية في فعل الانسان ولكن بعد ثورة الفقهاء وانحياز العامة إليهم مال خلفاء بني العباس إلى أحمد بن حنبل وأسبلو عليه دواعي الرضا والتكريم وأروه ما يرضيه في خصومه المعتزلة وقربوا المحدثين وأجزلوا لهم العطاء وذلك في موازاة اضطهاد المعتزلة ،فأصبح النظر في كتب الجدل وعلم الكلام من المحظورات وساد التسليم والاتباع والتقليد.

إن هذه التجاذبات السياسية وهذا التماوج الفكري المدعوم سلطويا هو الذي صنع المذاهب والطوائف عقائدية عوضا عن أحزاب سياسية ما دفعهم لإقحام القران الكريم والشرعية الدينية في صلب خلافاتهم السياسية وترك العالم الإسلامي تتقاسمه طائفتان عظيمتان الشيعة والسنة والجماعة . ونحن في هذا البحث نحاول أن نسلط الضوء على مفهوم السنة والجماعة من حيث المنشأوالتصور والمراحل التي ساهمت في تشكل هذا الكيان في إطار الإشكالية التالية .

ـ كيف نشأ مسمى السنة والجماعة ؟

ـ ومن أين اكتسب هذا اللقب سلطانه وسطوته ؟

ـ وهل للصراعات السياسية دور في نشوء هذا المصطلح وبلورته ؟

ـ ماهي الظروف السياسية والاجتماعية والأيديولوجية والمعرفية التي ساهمت في تشكله ؟

ـ هل يحق لمسمى السنة والجماعة أن يسع الفهم للاسلام ؟

سبب اختيار الموضوع:

إن الدافع الذي أغراني بطرح هذا الموضوع والاقبال على دراسته هو تلك المعضلة الثقافية التي تواجه الشباب المسلم اليوم حول انتمائه الديني حيث أن التاريخ الإسلامي بدأ بالإسلام كمفهوم أوحد وجامع لسائر المسلمين ، ثم تحول بمرور الزمن إلى تجزئة وتعدد المفاهيم بحسب الطائفة الغالبة فكل طائفة تتدعي أنها هي الإسلام وليس هذا فحسب بل تصف مخالفها بأوصاف تبعدهم عن الانتماء للاسلام ،فالشيعة يقولون أنهم هم أهل السنة ويصفون السنة بوصف العامة وأهل السنة يقولون أنهم هم أهل السنة ويصفون الشيعة بأنهم روافض ، فهل انتماء الامة يجب أن يكون للاسلام أم يبقى يتنازع بين التسنن والتشيع ؟ إن الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي بفعل الاقتتال الطاحن في العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين بصفة خاصة على خلفية الصراع الطائفي السني الشيعي والتخويف

الدائم من تصدير التشيع الى البلاد السنية يجعل من طرح هذا الموضوع أولوية وضرورة ليس إلا لأجل المعرقة والتحقيق العلمي.

الدراسات السابقة:

لم نتمكن إلى حد الان من الوقوف على دراسات جادة تبحث مفهوم السنة والجماعة بحثا نقديا يؤسس لقراءة موضوعية لهذا الكيان المعرفي والسياسي والديني إلا أننا وقفنا على ثلاثة عناوين تعد بدايات أو إرهاصات لما ينبغي أن يوجه إليه الجهد الفكري والمعرفي وهي:

ـ أهل السنة والجماعة الإشكالية العقائدية والرؤية المستقبلية لصاحبه حاكم المطيري

ـ منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والسلوك لصاحبه عبد الله محمد اليزيدي

ـ صفحات من تاريخ أهل السنة والجماعة ببغداد لصاحبه خالد كبير علال

زيادة على مقالات لدوريات جامعية تحاول تسليط الضوء على الجنبات الخفية في تاريخ السنة والجماعة والمراحل التي مرت بها . ولقد اتبعت أسلوبا وصفيا لدراسة المراحل التاريخية التي مرت بها عملية تشكل مفهوم أهل السنة والجماعة مع مقارنة النصوص وتحليل الوقائع ، لهذا اتبعت الخطة الأولية التالية.

تمهيد:

ـ الفصل الأول : نحاول فيه استكشاف المفهوم اللغوي والوضعي والاصطلاحي للسنة والجماعة وبيان ماهيتها

ـ الفصل الثاني: نتعرض فيه للجانب التاريخي الذي رسم السنة والجماعة من خلال الأنظمة القائمة في حقبة الخلافة ومحاولة إبراز أهم العوامل السياسية والاجتماعية والمعرفية التي أوجدت السنة والجماعة

ـ الفصل الثالث : نستجلي فيه الآثار الأيديولوجية لمفهوم السنة والجماعة من خلال بحث الأصول التأسيسية والمرجعية المعرفية التي تمة بمقتضاها كيان أهل السنة والجماعة كنظام سياسي واتجاه ديني وتراث معرفي .

الفصل الأول :السنة والجماعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة

المبحث الأول : تعريف السنة والجماعة لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : السنة كمصدر تشريع

المبحث الثالث: الجماعة

الفصل الثاني : الواقع التاريخي للخلافة الإسلامية

المبحث الأول : ظهور مسمى أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني :خلافة المتوكل ونشر الحديث

المبحث الثالث : البعد السياسي لمسمى أهل السنة والجماعة

الفصل الثالث:الأثر الأيديولوجي لمفهوم السنة والجماعة

المبحث الأول :أثر علم الكلام في نشأة اهل السنة والجماعة

المبحث الثاني :تنازع مسمى السنة والجماعة بين المتكلمين [الاشاعرة والماترودية والمحدثين]

المبحث الثالث:البعد الأيديولوجي لمدلول السنة والجماعة

الخاتمة : تكلل هذا العمل بإيجاز النتائج وأفاق الدراسة

الفصل الأول

السنة والجماعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة

- المبحث الأول: تعريف السنة والجماعة لغة واصطلاحا
- المبحث الثاني: السنة كمصدر تشريع
- المبحث الثالث: الجماعة

تمهيد :

يقرر ابن نبي بحق أنه «طالما ظل الفكر عاطلا منعدم التأثير بقي النشاط حركة فوضى وليس هذا يبعث على الضحك والرثاء، وليس هذا سوى شكل من أشكال الشلل الاجتماعي» ومادام «لكل نشاط عملي علاقة مباشرة بالفكر، فمتى انعدمت هذه العلاقة عمي النشاط واضطراب، وأصبح جهدا بلا دافع، وكذالك الأمر حين يصاب الفكر أو ينعدم، فإن النشاط يصبح مختلا أو مستحيلا. وعندئذ يكون تقديرنا لأشياء تقدير ذاتيا. وهو في عرف الحقيقة خيانة لطبيعتها، وغمط لأهميتها، سواء كان غلوا في تقويمها أم حطا من قيمتها»[1] ، ربما هذه أصدق جملة تعبر عن واقع المسلمين و حاضرهم الفكري ، و المعرفي ، فبعد نزول القرآن الكريم ، الذي يعتبر المرجع الأساس للفكر الإسلامي ، استطاع العرب الدخول إلى عالم المعرفة بدافع المنافحة عن الإسلام و مفاهيم القرآن أمام معارف الأمم والحضارات المجاورة لهم جغرافيا ، إلا أن عملية تصدير الإسلام إلى الآخر لم تستمر طويلا وذلك للقبول الذي وجدته أحكام الإسلام عند سائر الشعوب غير العربية ، حيث اعتنقت الاسلام وانتظمت في نهجه الحضاري ، مما أثرى فكره وأغناه ، وعدد مصادره ،ونوع روافده

المبحث الأول: تعريف السنة والجماعة لغة واصطلاحا

السنة في اللغة :

أورد أصحاب المعاجم العربية معاني عديدة لمادة " سنن " الجذر اللغوي للفظة " السنة " اخترنا معجمي الصحاح في اللغة للجوهري، ولسان العرب لابن منظور.

1 – عبد اللطيف عبادة – جامعة قسنطينة – مناهج الحركات الإسلامية المعاصرة في التغيير : نقد وتقويم انطلاقا من فكر بن نبي الموقع المصدر: مجلة الموافقات (المعهد الوطني العالي لأصول الدين – الجزائر) العدد 3 جوان 1994.

جاء في الصحاح في اللغة – (1 / 334)[2]

سنن

السَنَنَ: الطريقة. يقال: استقام فلانٌ على سَنَنٍ واحد. ويقال: امضِ على سَنَنِكَ وسُنَنِكَ، أي على وجهك. وجاء من الخيل سَنَنٌ علا يُرَدُّ وجهه. وتَنَحَّ عن سَنَنِ الخيل، أي عن وجهه. وعن سَنَنِ الطريق وسُنَنِهِ وسِنَنِهِ ثلاث لغات. وجاءت الريح سَنائِنَ، إذا جاءت على طريقة واحدةٍ لا تختلف. والسُنَّةُ: السيرةُ. قال الهذلي:

فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها ... فأول راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسيرُها

والسُنَّةُ أيضاً: ضربٌ من تمر المدينة. ابن السكيت: سَنَّ الرجل إبلَه، إذا أحسن رِعْيَتَها والقيامَ عليها، حتّى كأنَّه صَقَّلها. قال النابغة:

نُبِّئْتُ حِصْناً وحَيَّاً من بني أسدٍ ... قاموا فقالوا حِمانا غيرُ مَقْروبِ

ضَلَّتْ حُلومُهُمُ عنهمْ وغَرَّهُمُ ... سَنُّ المَعَيْدِيِّ في رَعْيٍ وتَعزيبِ

وجاء في لسان العرب :

والسُّنَّة الطريقة والسَّنن أَيضاً وفي الحديث أَلا رجلٌ يَرُدُّ عَنَّا من سَنَنِ هؤلاء .

2 المؤلف : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي/كتاب: الصحاح في اللغة/الناشر: دار العلم للملايين بيروت 1990 م/ ط4/عدد الأجزاء 7 /ج3 /ص 334

التهذيب[3] :

السُّنَّةُ الطريقة المحمودة المستقيمة ولذلك قيل فلان من أَهل السُّنَّة معناه من أَهل الطريقة المستقيمة المحمودة وهي مأْخوذة من السَّنَنِ وهو الطريق ويقال للخَطّ الأَسود على مَتْنِ الحمار سُنَّة .

والسُّنَّة الطبيعة وبه فسر بعضهم قول الأَعشى :

كَرِيمٌ شَمَائِلُه من بَنِي مُعاويةَ الأَكْرَمينَ السُّنَنْ

وامْضِ على سَنَنِك أَي وَجْهك وقَصْدك وللطريق سَنَنٌ أَيضاً وسَنَنُ الطريق وسُنَنُه وسِنَنُه وسُنُنُه نَهْجُه

يقال :

خَدَعَك سَنَنُ الطريق وسُنَّتُه .

والسُّنَّة أَيضاً سُنَّة الوجه

وقال اللحياني تَرَك فلانٌ لك سَنَنَ الطريق وسُنَنَه وسِنَنَه أَي جِهَتَه

قال ابن سيده : ولا أَعرف سِنَناً عن غير اللحياني شمر

السُّنَّة في الأَصل سُنَّة الطريق وهو طريق سَنَّه أَوائل الناس فصارَ مَسْلَكاً لمن بعدهم وسَنَّ فلانٌ طريقاً من الخير يَسُنُّه إِذا ابتدأَ أَمراً من البِرِّ لم يعرفه قومُه فاسْتَسَنُّوا به وسَلَكُوه وهو سَنِين ويقال سَنَّ الطريقَ سَنّاً وسَنَناً

3 – المؤلف : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري/كتاب:تهذيب اللغة /تحقيق : محمد عوض مرعب /دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – 2001م /عدد الأجزاء:15/ الطبعة : الأولى /ج12 /ص 210

فالسَّنُّ المصدر والسَّنَنُ الاسم بمعنى المِسْنون ويقال تَنَحَّ عن سَنَنِ الطريق وسُنَنه وسِنَنِه ثلاث لغات قال أَبو عبيد سَنَنُ الطريق وسُنُنُه مَحَجَّتُه " [4]

السنة في القرآن:

ورد لفظ " السنة " في القرآن الكريم في خمس مواضع :

كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13) سورة الحجر

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77) سورة الإسراء

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55) سورة الكهف

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38) الكهف

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62) الاحزاب

وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (22) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (23) الفتح

4 – المؤلف : محمد بن مكرم الأفريقي المصري بن منظور /كتاب: لسان العرب/ الناشر : دار صادر – بيروت /الطبعة الأولى/ عدد الأجزاء : 15 /ج 13 /ص220

وجاء في دلالة " السنة " في القرآن الكريم أنها بمعنيين قال الراغب في المفردات في غريب القرآن [5] :

(سنن السِّنُّ معروف ، وجمعه أَسْنَانٌ. قال : وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ [المائدة / 45] ، وسَانَّ البعير الناقة :

عاضّها حتى أبركها ، والسَّنُونُ : دواء يعالج به الأسنان ، وسَنُّ الحديد : إسالته وتحديده ، والْمِسَنُّ : ما يُسَنُّ به ، أي : يحدّد به ، والسِّنَانُ يختصّ بما يركّب في رأس الرّمح ، وسَنَنْتُ البعير : صقلته ، وضمّرته تشبيها بِسَنِّ الحديد ، وباعتبار الإسالة قيل : سَنَنْتُ الماء ، أي : أسلته.

وتنحّ عن سَنَنِ الطّريق ، وسُنَنِهِ وسِنَنِهِ ، فالسُّنَنُ :

جمع سُنَّةٍ ، وسُنَّةُ الوجه : طريقته ، وسُنَّةُ النّبيّ :

طريقته التي كان يتحرّاها ، وسُنَّةُ اللّه تعالى : قد تقال لطريقة حكمته ، وطريقة طاعته ، نحو :

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (الفتح / 23) ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (فاطر / 43)، فتنبيه أنّ فروع الشّرائع – وإن اختلفت صورها – فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدّل ، وهو تطهير النّفس ، وترشيحها للوصول إلى ثواب اللّه تعالى وجواره ، وقوله : مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ

(الحجر / 26)، قيل : متغيّر ، وقوله : لَمْ يَتَسَنَّهْ

(البقرة / 259)، معناه : لم يتغيّر ، والهاء للاستراحة)

5 – المؤلف : الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم /الكتاب : المفردات في غريب القرآن /الناشر : دار العلم الدار الشامية /مكان الطبع : دمشق . بيروت /سنة الطبع : 1412 هـ تحقيق : صفوان عدنان داودى/ ج1 / ص429

السنة في الحديث :

إن البحث عن دلالة " السنة " واستعمالاتها عند المحدثين يقودنا إلى كتب الحديث ، وبالعودة إلى أكثرها استعمالا وهو صحيح البخاري – (2 / 199) نطلع على معنى كلمة "السنة " من خلال توظيف الصحابة و الرواة الأوائل للحديث لها :

قال البخاري[6] :

باب الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ بِعَرَفَةَ.

احديث رقم 1662وَقَالَ اللَّيْثُ : حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ عَامَ نَزَلَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَأَلَ عَبْدَ اللهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ عَرَفَةَ فَقَالَ سَالِمٌ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَهَجِّرْ بِالصَّلاَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ صَدَقَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي السُّنَّةِ فَقُلْتُ لِسَالِمٍ أَفَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ سَالِمٌ وَهَلْ تَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلاَّ سُنَّتَهُ.

6 – محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (194 – 256هـ ، 810 – 870م).، أبو عبدالله. الإمام الحافظ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. ولد في بخارى ونشأ يتيمًا. قام برحلة طويلة في طلب العلم. وكان آية في الحفظ وسعة العلم والذكاء. قالوا : لم تخرج خراسان مثله. سمع الحديث ببخارى قبل أن يخرج منها كما سمع ببلخ ونيسابور والرَّيِّ وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر والشام. سمع نحو ألف شيخ، أشهرهم أبو عاصم النبيل والأنصاري ومكي بن إبراهيم وعبيدالله بن موسى وغيرهم. روى عنه خلائق لا يحصون .كما يقول الذهبي . منهم الترمذي وإبراهيم بن إسحاق الحربي وابن أبي الدنيا والنَّسفي وابن خزيمة والحسين والقاسم ابنا المحاملي وغيرهم. جمع البخاري في الجامع الصحيح نحو ستمائة ألف حديث اختار منها ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتابًا على هذا النحو.

باب قصر الخطبة بعرفة.

الحديث رقم 1663 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ يَأْتَمَّ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِي الْحَجِّ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ جَاءَ ابْنُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَنَا مَعَهُ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ ، أَوْ زَالَتْ فَصَاحَ عِنْدَ فُسْطَاطِهِ أَيْنَ هَذَا فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ الرَّوَاحَ فَقَالَ الآنَ قَالَ نَعَمْ قَالَ : أَنْظِرْنِي أُفِيضُ عَلَيَّ مَاءً فَنَزَلَ ابْنُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَتَّى خَرَجَ فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي فَقُلْتُ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُصِيبَ السُّنَّةَ الْيَوْمَ فَاقْصُرِ الْخُطْبَةَ وَعَجِّلِ الْوُقُوفَ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ صَدَقَ.)[7]

فمن خلال هذه الأحاديث المروية عن الصدر الأول من أهل الإسلام يتبين أن الإستعمال الأصلي لكلمة " السنة "كان يراد به طريقة العبادة الصحيحة ، وهذا يكشف لنا خلفية التوظيف لمصطلح السنة بعد هذه الحقبة و الذي يحمل طابع التميز عن الغير باحتكار الإنتساب إلى الرسول و الصحابة مع تجريد المخالف من ذلك وهو ما يبينه استعمال المتكلمين لمفهوم " السنة ".

السنة عند علماء الكلام :

المتكلمون هم فئة علمائية ظهرت في خضم التطورات العلمية التي شهدها ق2 الهجري والتي عنت كثيرا بالعقائد الايمانية ووظفت مصطلح " السنة " لكن على غير المعنى المقصود لدى المحدثين و الفقهاء و الأصوليين ، حيث لا يطلق لفظ السنة إلا مظافا للفظ "أهل " للإشارة إلى الكيان الفكري الذي اصطلح عليه ب " أهل السنة "كما في هذه النصوص :

7 – المؤلف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : 256هالكتاب : الجامع الصحيح .(حسب ترقيم فتح الباري الناشر : دار الشعب – القاهرة الطبعة : الأولى ، 1407 – 1987 عدد الأجزاء : 9 ج2 ص 199

قال ابن حزم[8] في الفصل في الملل والأهواء والنحل - (2 / 88)

" قال أبو محمد فرق المقرين بملة الإسلام خمسة وهم أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج ثم افترقت كل فرقة من هذه على فرق وأكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ونبذ يسيرة من الإعتقادات سننبه عليها إن شاء الله تعالى ثم سائر الفرق الأربعة التي ذكرنا ففيها ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد وفيهم ما يخالفهم الخلاف القريب فأقرب فرق المرجئة إلى أهل السنة من ذهب مذهب أبي حنيفة الفقيه إلى أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معا وأن الأعمال إنما هي شرائع الإيمان وفرائضه فقط وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان والأشعري ومحمد بن كرام السجستاني فإن جهما والأشعري يقولون أن الإيمان عقد بالقلب فقط وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه "[9].

8 - ابن حزم (456 - 384)هـ = 994 - 1064 م) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الاسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية ". ولد بقرطبة. وكانت له ولابيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الاحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة. وانتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فتمالاوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية ليلة (من بلاد الاندلس) فتوفي فيها. رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخطه أبيه من تآليفه نحو 400 مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة. و " مراتب العلوم "و " رسالة في الرباط و " الاعراب " و "الاحكام لاصول الاحكام " ثماني مجلدات، و " إبطال القياس والرأي " و " الفاضلة بين الصحابة " رسالة مما اشتمل عليه كتاب " الفصل " المتقدم ذكره، نشرها سعيد الافغاني، و " مداواة النفوس - ط " رسالة في الاخلاق، و " طوق الحمامة. أشهر مصنفاته " الفصل في الملل والاهواء والنحل - " و " التقريب لحد المنطق والمدخل إليه وله " و" المحلى "

9 - المؤلف : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد الكتاب : الفصل في الملل والأهواء والنحل الناشر : مكتبة الخانجي - القاهرة/د:ط/د:سنة النشر/ عدد الأجزاء : 5 /ج2 /ص 88

كما أن الجرجاني[10] لا نجده يتميز عن ابن حزم في توظيف لمصطلح " السنة " بأي جديد بل يؤكد ذلك التطابق الفكري حيث يقول :

(وإنما فصل النبي عليه السلام بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في ابواب العدل والتوحيد أو في الوعد والوعيد أو في بابى القدر والاستطاعة أو في تقدير الخير والشر أو في باب الهداية والضلالة أو في باب الإرادة لله عز و جل وأسمائه وأوصافه أو في باب من أبواب التعديل والتجويز أو في باب من أبواب النبوة وشروطها ونحوها من الابواب التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريقى الرأى والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية والخوارج والروافض والنجارية والجهمية والمجسمة والمشبهة ومن جرى من فرق الضلال)[11]

أن ما يلاحظ على توظيف السنة هنا أنها مقرونة بكلمة أهل ، مما يعطيه اصطلاحا مخصوصا أو معنى زائدا عن إطلاقاتها الإبتدائية ، من هنا يتبين أن معنى السنة يقصد بها الكيان الذي يتصف بمعتقد يميزه عن غيره من الكيانات الأخرى في الجماعة الإسلامية الكبرى إذا فهي طائفة أو فرقة تحمل مفهوم الفرقة عند العلماء المسلمين بعد القرن الأول من الإسلام ولها مدلول في (الاصطلاح فالفرقة تعني كل طائفة من الناس دعيت إلى معتقد معين، بحيث عرفت به وتميزت عن غيرها ، ويمكن القول إن هذا المصطلح من حيث مدلوله الاصطلاحي ألصق بأصول العقيدة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تفرق الناس فيه ، ولا يدل في معظم الأحيان على الافتراق في فروع الدين ، ولذلك نقول : فرقة الخوارج أو فرقة المعتزلة ؛ لأن خلاف أهل السنة مع هذه الفرق كان بالمعتقد ، في حين أننا نطلق مصطلح (مذهب) على الشافعية أو الحنفية

---

10 عبدالقاهر الجرجاني (471 - 000)هـ = 000 - 1078 م) عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغمة. من أهل جرجان (بين طبرسات وخراسان) له شعر قيق. من كتبه " أسرار البلاغة " و " دلائل الاعجاز " و " الجمل " في النحو، و " التتمة " ، و " المغني " في شرح الايضاح، و " إعجاز القرآن " و " العمدة في تصريف الافعال، و" العوامل المئة

11 - المؤلف : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور/ الكتاب : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية/ الناشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت /الطبعة الثانية ، 1977 /عدد الأجزاء : 1 /ج1 /ص 8

ولا يصح أن نقول (فرقة الشافعية) أو (فرقة الحنفية) ؛ لأن الخلاف بين المذاهب كان في فروع الدين لا في أصوله)[12].

المبحث الثاني : السنة كمصدر تشريع

يجب أن نعلم أن مدلول السنة له معنى موسع ، ومن هذا المنطلق تعدد استعماله واختلف توظيفه بين أهل الفنون أقصد بين الفقهاء و الأصوليين و المحدثين و المتكلمين ، فإذا كان مدلول السنة عند الفقهاء بمعنى الأثر التعبدي سواء كان عملي أو نقلي ، فإن المعنى أعم عند الأصولي حيث يقصد بالسنة المصدر التشريعي وهو معنى زائد عن السنة بمعناها الدليل الشرعي الذي يحمل الحكم الشرعي كما هو الحال عند المحدث .

فالأصولي ينظر للسنة كأصل من الأصول التشريعية أو بالأحرى أحد المصادر الأ ربع المتفق عليها يقول الزركشي[13] (أَصْلُهَا الطَّرِيقَةُ الْمَحْمُودَةُ فإذا أُطْلِقَتْ انْصَرَفَتْ إلَيْهَا وقد تُسْتَعْمَلُ في غَيْرِهِ مُقَيَّدَةً كَقَوْلِهِمْ من سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً وَتُطْلَقُ على الْوَاجِبِ وَغَيْرِهِ في عُرْفِ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَأَمَّا في عُرْفِ الْفُقَهَاءِ فَإِنَّمَا يُطْلِقُونَهَا على ما ليس بِوَاجِبٍ وَأَطْلَقَهَا بَعْضُ الْأُصُولِيِّينَ هُنَا على الْوَاجِبِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْمُبَاحِ)[14]. كما تستعمل " السنة " للإصطفاف والتمايز ، فتحدد من ينتمي إلى دائرة " البدع " ممن يتحاز للإتباع و هذا فيه نظر ،

---

12 – مقال : مفهوم الفرقة المسلمين عند العلماء المؤلف : د. مجيد الخليفة ص 1 موقع www.dr-majeed.net صيد الخاطر تاريخ 1427/11/08هـ

13 – الزركشي (794 – 745)هـ = 1344 – 1392 م(محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والاصول. تركي الاصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان) في أصول الفقه،و(البحر المحيط) ثلاث مجلدات في أصول الفقه،و(إعلام الساجد بأحكام المساجد) و (الديباج في توضيح المنهاج) فقه، و (مجموعة) فقه، و (المنثور) يعرف بقواعد الزركشي في أصول الفقه، و (التنقيح لالفاظ الجامع الصحيح) و (ربيع الغزلان) أدب و (عقود الجمان، ذيل وفيات الأعيان).

14 ــ المؤلف : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي . سنة الوفاة 794هـ /كتاب:البحر المحيط في أصول الفقه/ تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر/ الناشر : دار الكتب العلمية سنة النشر : 1421هـ – 2000م مكان النشر : لبنان/ بيروت /د:ط/عدد الأجزاء : 4/ج 3/ ص237

حتى وإن فشى في الإستعمال ، فهو أقرب إلى الدعوى منه إلى الحقيقة قال : (وَتُطْلَقُ في مُقَابَلَةِ الْبِدْعَةِ كَقَوْلِهِمْ فُلَانٌ من أَهْلِ السُّنَّةِ) ، ورغم هذا التعويم إلا أن علماء الشريعة الاسلامية جعلوا مسمى " السنة "التي تطلق ويراد بها التشريع أو المصدر للتشريع ضوابط[15] منها :

- أن السنة لا تطلق على ما أَثر عن الصحابة (قال ابن فَارِسٍ في فِقْهِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَرِهَ الْعُلَمَاءُ قَوْلَ من قال سُنَّةُ أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَإِنَّمَا يُقَالُ فَرْضُ اللَّهِ وَسُنَّتُهُ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ).
- السنة ما خص الرسول دون سواه (وقال الدَّبُوسِيُّ ذَكَرَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ أَنَّ السُّنَّةَ الْمُطْلَقَةَ عِنْدَ صَاحِبِنَا تَنْصَرِفُ إلَى سُنَّةِ الرَّسُولِ وَأَنَّهُ على مَذْهَبِهِ صَحِيحٌ لِأَنَّهُ لَا يَرَى اتِّبَاعَ الصَّحَابِيِّ إلَّا بِحُجَّةٍ كما لَا يُتَّبَعُ من بَعْدَهُ إلَّا بِحُجَّةٍ وَيُحْتَمَلُ لِأَنَّهُ لم يَبْلُغْهُ اسْتِعْمَالُ السَّلَفِ إطْلَاقَ السُّنَّةِ على طَرَائِقِ الْعُمَرَيْنِ وَالصَّحَابَةِ وَأَمَّا في الِاصْطِلَاحِ فَتُطْلَقُ على ما تَرَجَّحَ جَانِبُ وُجُودِهِ على جَانِبِ عَدَمِهِ تَرْجِيحًا ليس معه الْمَنْعُ من النَّقِيضِ)
- السنة جزء من الوحي فهي نصيف القرآن الكريم (وَتُطْلَقُ وهو الْمُرَادُ هُنَا على ما صَدَرَ من الرَّسُولِ صلى اللَّهُ عليه وسلم من الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالتَّقْرِيرِ وَالْهَمِّ وَهَذَا الْأَخِيرُ لم يَذْكُرْهُ الْأُصُولِيُّونَ وَلَكِنْ اسْتَعْمَلَهُ الشَّافِعِيُّ في الِاسْتِدْلَالِ مَسْأَلَةُ السُّنَّةُ الْمُسْتَقِلَّةُ بِتَشْرِيعِ الْأَحْكَامِ وَلِهَذَا لم يُفْرِدْ إمَامُ الْحَرَمَيْنِ السُّنَّةَ عن الْكِتَابِ وقال كُلُّ ما يَقُولُهُ النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم عن قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فلم يَكُنْ لِذِكْرِ فَصْلٍ بين الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَعْنًى وَنَصَّ الشَّافِعِيُّ في الرِّسَالَةِ على أَنَّ السُّنَّةَ مُنَزَّلَةٌ كَالْقُرْآنِ مُحْتَجًّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَاذْكُرْنَ ما يُتْلَى في بُيُوتِكُنّ من آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ فذكر السُّنَّةَ بِلَفْظِ التِّلَاوَةِ كَالْقُرْآنِ وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ آتَاهُ مع الْكِتَابِ غير الْكِتَابِ وهو ما سَنَّهُ على لِسَانِهِ مِمَّا لم يَذْكُرْهُ فيه وَلِهَذَا قال صلى اللَّهُ عليه وسلم أَلَا إنِّي قد أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ معه رَوَاهُ أبو دَاوُد)[16].

15 هذا الإطلاق يرجع فيه إلى ما استقر في مذهب الإمام الشافعي .

16 - الزركشي المصدرالسابق /ج 3 /ص237

مسألة منزلة السنة من الوحي :

يظهر من خلال ما سبق ذكره أن هناك تداخل بين القرآن الكريم و السنة النبوية من جهة تعميم صفة الوحي عليهما ، وهذا يطرح اشكالا هذا الاشكال مرده إلى كون الوحي مصدر من الله تعالى وهذا لا تتوفر السنةعليه ، ولا يسمح به ظاهر القرآن في بيانه للوحي ، كما يزيد هذا الطرح بعد انعدام الاجماع على قطعية النصوص النبوية حتى وإن غلب على الظن صحتها ، فإن ذلك لا يشفع أن تكون قسيمة الوحي لصفة البشرية ولرفع هذا اللبس نجد الإمام الشافعي يضع بيانا مهما جدا ننقل على ماجاء قال الشافعي في الرسالة :

(وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان أحدهما نص كتاب فاتبعه رسول الله كما انزل الله والآخر جملة بين رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها عاما أو خاصا وكيف أراد ان يأتي به العباد وكلاهما اتبع فيه كتاب الله قال فلم أعلم من أهل العلم مخالفا في أن سنن النبي من ثلاثة وجوه فاجتمعوا منها على وجهين والوجهان يجتمعان ويتفرعان أحدهما ما أنزل الله فيه نص كتاب فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب والآخر مما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما والوجه الثالث ما سن رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب فمنهم من قال جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن من البيوع وغيرها من الشرائع لان الله قال: (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقال: (وأحل الله البيع وحرم الربا) فما أحل وحرم فإنما بين فيه عن الله كما بين الصلاة ومنهم من قال بل جاءته به رسالة الله فأثبتت سنته بفرض الله)[17]

17 – المؤلف : الإمام الحجة محمد بن إدريس الشافعي/كتاب: الرسالة/المحقق : أحمد محمد شاكر/ الناشر : دار الكتب العلمية /د:ط/ عدد الأجزاء : 1 /ص 93

حجيتها[18]:

اتفق المسلمون على أن كل ما صدر عن رسول الله، من قول أو فعل أو تقرير، وكان المراد به التشريع والاحكام ، ونقل عنه بسند صحيح يبلغ درجة القطع أو غلبة الظن الراجح فهو مصدراً تشريعيا تؤخذ منه الأحكام الشرعية المتعلقة بمقتضيات حاجيات الناس ، وعلى أن الأحكام التي تضمنتها هذه السنن تكون في نفس درجة الأحكام الواردة في القرآن لازمة وواجب على المسلم إتباعها و العمل بها .

ولقد استمدت السنة حجيتها من القرآن الكريم ، حيث نص في كثير من سوره على لزوم إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنها :

قال تعالى: { قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ } [آل عمران : 32]،

وقال سبحانه: { من يطع الرسول فقد أطاع الله } [النساء: 80]

وقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ } [النساء: 59] ،

وقال: { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ } [النساء: 83]

وقال: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب : 36]،

وقال: { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً } [النساء: 65] ،

18 – المؤلف : عبد الوهاب خلاف (المتوفى : 1375هـ /كتاب:علم أصول الفقه /الناشر : مكتبة الدعوة – شباب الأزهر/ عن الطبعة الثامنة لدار القلم /عدد الأجزاء : 1 /ص37

وقال: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا } [الحشر: 7]، فهذه نصوص القرآنية التي تدل بمجموعها على دلالة قاطعة على أن القرآن يؤكد على اتباع الرسول فيما سنه .

والأمر الثاني هو اتفاق الصحابة وإجماعهم رضوان الله عليهم في صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وماته على اتباع سنته و طاعته في كل ما أمرهم . فكانوا في حياته يطبقون أوامره بدون تردد ويمتثلون طاعته أمرا ونواهيا وتحليلا وتحريما الأمر الثالث عصمته صلى الله عليه وسلم ، ويراد بها خاصية طبيعية تحمله على اجتناب الغوية وملازمة الاستقامة ، وكذلك السلامة التامة البدنية والنفسية والتي تمنعه من التأثر السلبي بالعوامل الخارجية سواء كانت مادية أو معنوية من قبيل ما يحتمل الزيادة أو نقصان أو تحريف المقصود من الوحي أو فيه ، وهو ما اصطلح عليه عند علماء الكلام خاصة "بعصمة الرسول " وقد أشار القرآن الكريم إليها ،قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67) المائدة

قال العطار في حاشيته :

(وَلِتَوَقُّفِ حُجِّيَّةِ السُّنَّةِ عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَأَ بِهَا ذَاكِرًا جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ لِزِيَادَةِ الْفَائِدَةِ فَقَالَ (الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعْصُومُونَ لَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ ذَنْبٌ وَلَوْ سَهْوًا) أَيْ لَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ ذَنْبٌ أَصْلًا لَا كَبِيرَةٌ وَلَا صَغِيرَةٌ لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا (وِفَاقًا لِلْأُسْتَاذِ) أَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيِّ (وَ) أَبِي الْفَتْحِ (الشَّهْرِسْتَانِيِّ) (وَ) الْقَاضِي (عِيَاضٌ وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ) وَالِدُ الْمُصَنِّفِ ؛ لِكَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُمْ ذَنْبٌ وَالْأَكْثَرُ عَلَى جَوَازِ صُدُورِ الصَّغِيرَةِ عَنْهُمْ سَهْوًا لَا الدَّالَّةِ عَلَى الْخِسَّةِ كَسَرِقَةِ لُقْمَةٍ

وَالتَّطْفِيفِ بِتَمْرَةٍ وَيُنَبَّهُونَ عَلَيْهَا وَتَفَرَّعَ عَلَى عِصْمَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ مَا ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ (فَإِذَنْ لَا يُقِرُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا عَلَى بَاطِلٍ وَسُكُوتُهُ وَلَوْ غَيْرَ مُسْتَبْشِرٍ عَلَى الْفِعْلِ)[19]

المبحث الثالث: الجماعة

نحاول أن نستقصي مفهوم "' الجماعة " وتطوره عبر مراحل التاريخ الإسلامي المعرفي ونرصد مدلوله اللغوي و الإصطلاحي .

تعريف الجماعة لغة :

جاء في " معجم الصحاح في اللغة " في دلالة مادة " ج م ع "[20]

(جمع)

جَمَعْتُ الشيءَ المتفرقَ فاجْتَمَعَ. والرجلُ المجْتَمِعُ: الذي بلغ أشُدَّهُ. ولا يقال ذلك للنساء. ويقال للجارة إذا شَبَّتْ: قد جمعت الثياب، أي قد لبست الدرعَ والخمارَ والملحفةَ. وتَجَمَّعَ القومُ، أي اجتمعوا من ههنا وههنا. وجُمَّاعُ الناس بالضم: أَخْلاطُهُمْ، وهم الأُشابَةُ من قبائلَ شتَّى. والجَمْعُ: مصدر قولك جَمَعْتُ الشيء. وقد يكون اسماً لجماعة الناس، ويُجْمَعُ على جُموعٍ، والموضِعُ مَجْمَعٌ ومَجْمِعٌ. والجمع أيضاً: الدَقَلُ.

يقال: ما أَكْثَرَ الجَمْعَ في أرض بني فلان: لنخلٍ يخرج من النَوى ولا يُعْرَفُ اسْمُهُ.

ويقال أيضاً للمُزْدَلِفَةِ: جَمْعٌ، لاجتماع الناس فيها. وجُمْعُ الكَفِّ بالضم، وهو حين تَقْبِضُها. يقال: ضربته بجُمْعِ كفّي. وجاء فلان بقُبضةٍ مِلْءِ جُمْعِهِ. قال الشاعر:

---

19 - المؤلف: حسن بن محمد العطار/كتاب:حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، (المتوفى: 1250هـ)/ الناشر:دار الكتب العلمية بيروت/د:ط/د:تاريخ/ عدد الأجزاء 2/ج 1/ ص144

20 _ المؤلف : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي/كتاب:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية /تحقيق: أحمد عبد الغفورعطار /الناشر:دار العلم للملايين بيروت /ط 4 /عدد الأجزاء 6/ج1 /ص 100

وما فَعَلَتْ بي ذاكَ حتّى تَرَكْتُها ... تُقَلِّبُ رأْساً مثلَ جُمْعيَ عارِيا)[21]

يظهر أن دلالة جمع تعني عِدَّة معانٍ:

1 – من الاجتماع: وهو ما دل على الضم ضد الفُرقة.

ومنه اجتماع القومُ، إذا اجتمعوا من هنا وهنا، أي ضم بعضه إلى بعض، وجمع إليه القلوب: ألفها.

2 – ومن الجمع: وهو اسم لجماعة الناس، والجمع مصدر قولك: جمعت الشيء.

فالجماعة في اللغة إذا أريد بها جماعة الناس، فهم القوم المجتمعون على أمرٍ ما.

3 – ومن الإجماع: وهو الاتِّفاق والإحكام، يقال: أجمع الأمر؛ أي: أحكمه، ويقال: أجمع أهل العلم؛ أي: اتَّفقوا.

والجماعة: العدد الكثير من الناس، وطائفة من الناس يَجمعها غرض واحد.

ومُمكن جمعها في عبارة جامعة، وهي: "اجتماع القلوب، أو القلوب والأبدان على شيء يعتقد أصحابُه أنه حَقٌّ، فإن كان موافقًا لأمر الشارع، فهي الجماعة عند الإطلاق الشرعي."

الجماعة في القرآن :

لم ترد كلمة الجماعة في القرآن الكريمة في أي موضع ، ولكن أتت بصيغة التذكير "الجمع" :

21 – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي المصدر السابق /ج 1 /ص 100

كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7) الشورى

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (46) القمر

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9) التغابن

الجماعة في السنة :

اعتنى رجال الحديث برواية الأثار التي نصت على الجماعة بمعان متعددة نذكر منها :

الصلاة الجامعة :

جاء في سنن أبي داود . تحقيق وتعليق الألباني –

الحديث رقم 547 – حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زَائِدَةُ حَدَّثَنَا السَّائِبُ بْنُ حُبَيْشٍ عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِى طَلْحَةَ الْيَعْمُرِىِّ عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ « مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِى قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ ». قَالَ زَائِدَةُ قَالَ السَّائِبُ يَعْنِى بِالْجَمَاعَةِ الصَّلاَةَ فِى الْجَمَاعَةِ.[22]

الجماعة بمعنى الملة :

22 – المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني /كتاب:سنن أبي داود/ الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت/د:ط /عدد الأجزاء : 4/ ج 1 / ص 214

الحديث رقم 4599حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ ح وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ قَالَ حَدَّثَنِي صَفْوَانُ نَحْوَهُ قَالَ حَدَّثَنِي أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَازِيُّ عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهَوْزَنِيِّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ أَلاَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَامَ فِينَا فَقَالَ « أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِى النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِى الْجَنَّةِ وَهِىَ الْجَمَاعَةُ ». زَادَ ابْنُ يَحْيَى وَعَمْرٌو فِى حَدِيثَيْهِمَا « وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِى أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ.«

وَقَالَ عَمْرٌو « الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لاَ يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلاَ مَفْصِلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ ».[23]

الجماعة بمعنى مجموعة الأفراد :

الحديث رقم 5212 - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُدِّيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضى الله عنه – قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَفَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ – قَالَ « يُجْزِئُ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ وَيُجْزِئُ عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ ».[24]

تعريف الجماعة اصطلاحًا:

ذهب الشاطبي[25] إلى تتبع دلالات " الجماعة " في الاصطلاح وتعدد معانيها :

23 – أبو داود المصدر السابق – (ج4 / ص324)

24 – أبو داود المصدر السابق – (ج4 / ص520)

25 المؤلف : أبو إسحاق الشاطبي/كتاب:الاعتصام . للشاطبي موافق للمطبوع /دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى – مصر/ عدد الأجزاء / 2 ج /ص262

1-تُطلق الجماعةُ على: الصَّحابة - رضوان الله عليهم - قال الشاطبي في معرض ذكره لأقوال الناس في مفهوم الجماعة: "الجماعة هي الصَّحابة على الخصوص، فإنَّهم الذين أقاموا عمادَ الدين، وأَرْسَوا أوتادَه، وهم الذين لا يَجتمعون على ضلالةٍ أصلاً"، فالنُّصوص الواردة في السنة عن الجماعة تنصرف إليهم أولاً؛ لسبقهم في الزمن والفضل.

2-وتُطلق الجماعة على: أهل العلم وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدِّين ومن سلك سبيلهم:

لَمَّا سُئِلَ ابنُ المبارك عن الجماعة، قال: أبو بكر وعمر، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: ففلان وفلان، قال: "أبو حمزة السكري جماعة"، وأبو حمزة هو محمد بن ميمون المروزي.

قال البخاري: "باب: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، وما أمر النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم."

قال ابن حجر: " فعُرِفَ أنَّ المرادَ بالوصف المذكور أهل العلم الشرعي"

قال الطبري: "وقال قوم: المرادُ بهم أهل العلم؛ لأنَّ الله جَعَلهم حُجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين"

3-وتطلق الجماعة على: الاجتماع على الحقِّ وعدم التفرُّق:

كما ورد في الحديث: ((والجماعة رحمة، والفُرقة عذاب))

ومثله قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفرقة، فإنَّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبحة الجنة، فعليه بالجماعة))

وقال ابن مسعود: "إنَّ الذي تكرهون في الجماعة خَيْرٌ من الذي تُحبون في الفرقة"وتطلق الجماعة على: مجموع المسلمين وسوادهم الأعظم، الذين على السنة إذا اجتمعوا على إمامٍ، أو أَمْرٍ من أمور الدِّين، أو أمر من المصالح الدُّنيوية المباحة.

كما ورد في حديثِ حذيفة المشهور، وفيه: "... فما تأمُرني إنْ أدركني ذلك، قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم))"، قال الطبري: "والصَّواب أنَّ المراد من الخبر لزوم الجماعة، الذين في طاعة مَن اجتمعوا على تأميره، فمن نَكَثَ بيعتَه خرج عن الجماعة"وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –: عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((من رأى من أميره ما يكره، فليصبرْ عليه، فإنَّه مَن فارق الجماعةَ شِبْرًا فمات إلاَّ مات ميتة جاهلية))

4-وتطلق الجماعة على: أهلِ الحلِّ والعَقد، وهم العُلماء والأمراء والقَادة والوُلاة والقُضاة والأعيان، أو بعضهم إذا اجتمعوا على أمر من مَصالح المسلمين، كتولية إمامٍ وبيعته أو عزله؛ قال ابن بَطَّال: "والمراد بالجماعة: أهلُ الحل والعقد من كل عصر"

5-وتُطلق الجماعة على: الفريق من الناس اجتمعوا على شيء ما، وهي دون الجماعة الكُبرى مثل جماعة المسجد؛ ففي الحديث: ((مَن صلَّى العشاء في جماعة...))، وقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ((صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ...))؛ قال البخاري: "باب: اثنان فما فوقهما جماعة"، وذلك يعني في الصلاة.

وفي الحديث: ((كلوا جميعًا، ولا تفرَّقوا؛ فإنَّ البركةَ مع الجماعة)).

وَمَن حاول استقراءَ دلالاتِ اللفظِ في مَوارده المختلفة لا يَجده يَخرج عن هذه المعاني، ولكن قد يَجتمع أكثر من معنى في دلالة النصِّ الواحد.

6-تعريفُ أهل السنة باعتباره عَلَمًا مركبًا:

هذه التعريف وما تحمله من معاني التزكية هي في الحقيقة تشير إلى تنقيص الآخر وهذا يحتم علينا من جهة البحث العلمي الموضوعي الإشارة إلى أنه يلزم قائليه وهم أرباب المقتالات الكلامية و النزعات الأيديولوجية وعندهم مصطلح " أهل السنة و الجماعة " من حيث أنه علم إذا أطلق يراد به :

- أصحابُ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – والتابعون لهم بإحسان، – مع زيادة قيد – وكل من التزم بمنهجهم، واقتدى بهم واتَّبع سبيلَهم من المؤمنين المتمسكين بآثارهم إلى يوم القيامة.
- هم أهل الحديث، وأهل الأثر والسَّلف الصالح، ولهم مسميات وهي : " والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، " وكل هذه الأوصاف هي عبارة عن تأويلات ذهب إليه أصحابها ويزعمون أن هذه الطائفة هي مجموعة الأفراد الذين أخبر النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عنهم في قوله : ((إنَّ بَنِي إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فِرقة، وتفترق أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كُلُّها في النار إلا واحدة))، فقيل له: ما الواحدة؟ قال: ((ما أنا عليه اليومَ وأصحابي))

وقد سُمُّوا: "أهل السنة"؛ لأنَّهم الآخذون بسنة رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – العالمون بها، العاملون بمقتضاها.

كما يقول الشافعي: "القول في السنة التي أنا عليها ورأيتُ عليها الذين رأيتهم، مثل سفيان، ومالك، وغيرهما: الإقرارُ بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدُّنيا كيف شاء..."

وسُمُّوا بالجماعة لأنَّهم اجتمعوا على الحق، وأخذوا به، واقْتَفَوا أَثَر جماعة المسلمين المستمسكين بالسنة من الصَّحابة والتابعين وأتباعهم، واجتمعوا على مَن وَلاَّه الله أمرَهم، ولم يشقُّوا عصا الطاعة، كما أمرهم رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم.

ولقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – في إحدى روايات الحديث السابق: ((هم الجماعة)).

فهم مَن اجتمعَ من أهلِ الإسلام "لم يتفرق عن السبيل إلى ملة أخرى"، على السنة والاتِّباع "لم يتفرق في السبيل لبدع وأهواء" بقلوبهم، أو بقلوبهم وأبدانهم ما أمكنهم ذلك.

كما يستخدم ابنُ تيمية مُصطلح أهل السنة والجماعة بمعنى خاص؛ يريد به من وصفهم بأهل الاتِّباع لا الابتداع ممن سلم من الشُّبهات في الاعتقاد عند قوله: خلاف أهل السنة مع الأشاعرة كذا... وهو المشهور بين أهل العلم.

كما يستخدم مُصطلح أهل السنة والجماعة بالمعنى العام؛ أي: أهل الملة والدين عند قوله: الخلاف بين أهل السنة و سائر الفرق الأخرى كالشيعة و الأباضية و غيرها كذا... فأهلُ السنة هنا مُصطلح عام لكل من كان على التوحيد على وفق مفهوم طائفة أهل السنة ، ويظهر ذلك بوضوح في كلامه في مِنْهَاج السنة لمن تدبَّره.

قدم المصطلح:

يرى أصحاب هذا الاحتيار لمعنى " السنة و الجماعة " أنه مُصطلح قديم أي من المصطلحات السَّلفية، وليس من المصطلحاتِ الحادثة المبتدعة، التي ينتسب إليها بعضُ أصحاب الأهواء، أو يُطلقها أهلُ الباطل على أهل الحقِّ تنفيرًا من دعوتهم. وينسبون ذلك إلى الصحابي بن عباس كأول من وظفه .

يقول ابنُ عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله – تعالى –: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106]، "فأمَّا الذين ابيضت وجوههم، فأهل السنة والجماعة، وأمَّا الذين اسودت وجوههم، فأهل البدع والضلالة".

قال سعيد بن جبير في قوله – تعالى –: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82]: "لزوم السنة والجماعة"

قال سفيان الثوري: "إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة، وآخر بالمغرب، فابعث إليهما بالسلام وادْعُ لهما، ما أقلَّ أهلَ السنة والجماعة!"

قال ابن تيمية: "ومذهب أهل السنة مذهب قديم معروف قبل أن يَخلُق الله – تعالى – أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنَّه مذهب الصحابة الذين تلقَّوْه عن نبيهم – صلَّى الله عليه وسلَّم"

فأهلُ السنة والجماعة غير مَحصورين في مكان أو زمان، ولكنَّهم يكثرون في مكان، ويَقِلُّون في آخر، وقد يكثرون في زمان، ويقلون في زمان، ولكنَّهم لا ينقطعون حتى يأتي أمر الله.

مصطلحات مرادفة لأهل السنة والجماعة:

أهل الحديث:

يقول اللالكائي[26]: "كل من اعتقد مذهبًا، فإلى صاحب مقالته التي أحدثها ينتسب، وإلى رأيه يستند، إلاَّ أصحاب الحديث، فإنَّ صاحب مقالتهم رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فهم إليه ينتسبون، وإلى علمه يستندون، وبه يستدلون، وإليه يفزعون، وبرأيه يقتدون، وبذلك يفتخرون، وعلى أعداء سنته بقُربِهم منه يصولون، فمن يُوازيهم في شرف الذِّكر، ويُباهيهم في ساحة الفخر وعُلُوِّ الاسم؟!

إذ اسمهم مأخوذٌ من معاني الكتاب والسنة، يشتمل عليهما؛ لتحققهم بهما، أو لاختصاصهم بأخذهما، فهم مُتردِّدون في انتسابِهم إلى الحديث بَيْنَ ما ذكر الله – سبحانه وتعالى – في كتابه؛ فقال تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 23]، فهو القرآن، فهم حَمَلَةُ القرآن وأهله وقُرَّاؤه وحفظته.

---

26 – المؤلف : هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم /كتاب: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة /الناشر : دار طيبة – الرياض 1411هـ/تحقيق : د. أحمد بن مسعودحمدان /ط 2/عدد الأجزاء : 4 /ج1 /ص 64

وبَيْنَ أن ينتموا إلى حديث رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فهم نقلته وحملته، فلا شَكَّ أنَّهم يستحِقُّون هذا الاسم؛ لوجود المعنَيَيْنِ فيهم.

فهي الطائفةُ المنصورة، والفرقة الناجية، والعُصبة الهادية، والجماعة العادلة المتمسِّكة بالسنة، التي لا تريدُ برسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بديلاً، ولا عن قولِه تبديلاً، ولا عن سُنته تحويلاً، ولا يُثنيهم عنها تَقلُّب الأعصار والزَّمان، ولا يَلويهم عن سِمَتِها تغيُّر الحَدَثَيْنِ، ولا يصرفهم عن سِمَتِها ابتداعُ مَن كاد الإسلامَ ليصد عن سبيل الله، ويبغيها عوجًا، ويصرف عن طرقها جدلاً ولجاجًا، ظنًّا منه كاذبًا وتخمينًا باطلاً أنَّه يُطفئ نورَ الله، والله مُتِمُّ نورِه ولو كره الكافرون"؛ اهـ.

قال الجيلاني: " أهلُ السنة لا اسمَ لهم إلا اسم واحد، وهو: أصحاب الحديث."

قال البخاري في قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((لا تزالُ طائفة من أمتي))؛ "يعني: أصحاب الحديث."

ومصطلح أهلِ الحديث مُرادف لمصطلح أهل السنة؛ لذلك كتب العلماءُ بعضَ كتب العقيدة بهذا الاسم مثل:

•"اعتقاد أئمة الحديث"، لأبي بكر الإسماعيلي؛ أي: مُعتقد أهل السنة؛ يقول في أوله: "اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أنَّ مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة الإقرارُ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وقبول ما نطق به كتابُ الله – تعالى – وصَحَّت به الرِّوَاية عن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم."

وقال في آخره: "هذا أصل الدِّين، والمذهب اعتقادُ أئمةِ أهل الحديث الذين لم تَشِنْهُم بِدْعة، ولم تلبسهم فتنة، ولم يَخِفُّوا إلى مكروه في دين، فتمسكوا مُعتصمين بحبلِ الله جميعًا، ولا تَفَرَّقوا عنه، واعلموا أنَّ اللهَ – تعالى – أوجب مَحبته ومَغفرته لمتبعي رسولِه – صلَّى الله عليه وسلَّم – في كتابه، وجعلهم الفرقة الناجية والجماعة المتبعة، فقال – عزَّ وجلَّ – لمن ادَّعى أنه يُحب الله – عزَّ وجلَّ –: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31"[

•وكما سَمَّى أبو عثمان إسماعيل الصابوني رسالَته: "عقيدة السلف أصحاب الحديث."

•وكتاب "شعار أصحاب الحديث"، لمحمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم، قال فيه: "باب ذكر الدليل على أنَّ الإيمان يزيد وينقص."

فليس المصطلحُ مقصورًا على الذين يَعتنون بالحديث دراية، بل كلِّ مَن استقام على السنة من أصحاب الحديث أو الفقه أو التفسير أو الجهاد أو غيرهم.

يقول ابن تيمية – رحمه الله –: "ونَحن لا نعني بأهلِ الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو رِوايته، بل نعني بهم: كلَّ مَن كان أحق بِحِفظه ومَعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة من هؤلاء: مَحبة القرآن والحديث والبَحث عنهما وعن مَعانيهما، والعمل بما علموه من موجبها"[27]

مصطلح السلف:

السلف لغة:

يقول ابن فارس: "سلف: السين واللام والفاء أصل يدُلُّ على تقدُّم وسَبْق، من ذلك السلف الذين مَضَوا، والقوم السلاف: المتقدمون."

وذكرت في القرآن والسنة بهذا المعنى؛ ففي القرآن: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: 275]؛ أي: سبق وتقدم، وقال سبحانه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24]؛ أي: قدَّمْتم في الدنيا.

وفي السنة: قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لحكيم بن حزام: ((أسلمت على ما سَلَفَ من خير))

27 – المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ/كتاب: مجموع الفتاوى /المحقق : أنور الباز – عامر الجزار/ الناشر : دار الوفاء/ الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م /ج 4 /ص91

السَّلَفُ اصطلاحًا: هم الصَّحابة والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم ممن تَمَسَّك بالسنة، ولم يُعرفْ ببدعة، فهو مصطلح يرادِف أهلَ السنة، ولا يَكفي في مُصطلح السلف البُعد الزَّمَنِي المشار إليه في معنى السلف لغةً، ولكن الاعتبار الأول هو مُوافقة سنة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فلما كان الصَّحابة هم أعظم قرن تَمَسُّكًا بالسنة علمًا وعملاً، ثم التابعون، ثم تابعوهم؛ كما في الحديث: ((خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...))، كان للمعنى اللغوي اعتبار من هذا الوجه، فالصحابة خير سلف لنا.

- **الفرقة الناجية:**

وهو مُصطلح مرادف لأهل السنة مبين لمآلها ومقصودها.

•فمقصود أهل السنة والجماعة: النَّجاة من عذاب الله ومُسبِّباته.

•ومآل أهل السنة والجماعة: هو النجاة يومَ القيامة من عذاب الله ووعيده .

يقول الجيلاني – رحمه الله –: "وأما الفرقة الناجية، فهي أهل السنة والجماعة"

ويقول ابن تيمية في أول رسالة العقيدة الواسطية: "أمَّا بعد، فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة."

- **الطائفة المنصورة:**

مصطلح الطائفة المنصورة هو مصطلح أخصُّ من أهل السنة أو مُرادف له.

فلو كانت النصرة بالسيف والسنان، كانت الطائفة المنصورة أخص، وفي الحديث: ((لا تزال طائفة من أُمَّتِي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خَذَلَهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك))، وفي رواية: ((يقاتلون على

الحق))، وإن كان المقصودُ أنَّ الله ينصر مَن ينصرُه، وأنَّ الله وعد رُسُله والذين آمنوا بالنصر في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد، ومعلوم أن كثيرًا من الرسل قتل أو مات وهو مُستضعف، وأهل السنة تَمُرُّ بهم السنون وهم في استضعاف تام، لكن اللهَ ناصرُهم، فهم طائفة منصورة، وهذا المعنى مُرادف لأهل السنة والجماعة.

الخارجون عن أهل السنة والجماعة:

لا يَخرج أحد عن أهل السنة والجماعة، بالمعنى الخاص "إلى فعل غير مُكفِّر"، أو بالمعنى العام "إلى فعل مُكفِّر" نقمةً عليهم، كما لا يَخرج من هذا الدين أحد سخطةً عليه؛ كما في حديث هرقل، وإنَّما يَخرج لأحد سببين: "شبهة، شهوة."

- **يخرج من مفهوم الجماعة لشبهة:**

يسمى أهل السنة كل من لا يقول بقولهم " مبتدعا " و لا يعدونهم منهم على الرغم الضبابية في المفاهيم وانتفاء التحديد عن التصورات و الضوابط التي لاوضعوها لرسم خريطة المصطلحات وحمولاتها الدالة على المراد به عند أصحابها فيطلقون على مخالفيهم بألفاظ مثل " المبتدعة " و " أصحاب الأهواء " و " المحدثات في الدين " لكنهم لا يحصورن ذلك في المسائل الإيمانية بل يتعدون إلى المواقف السياسية وهذه ميزة " لأهل السنة " فيصفون كل مَن خرج عن إمامِ المسلمين الشَّرعي مبتدع يرونه خروجًا يُؤدي إلى الشذوذ والشِّقاق والفُرقة وإثارة الفتنة، ويلحق بهم أصحابُ المذاهب المعاصرة مثل العَلْمَانية والليبرالية والقومية والحَدَاثة.

و الحق أنه ليس لأحدٍ أن يخراج أحد من الناس عن أهل السنة، إلاَّ ببرهان كنور الشمس، كما لا يَجوز له إخراج أحد من الإسلام من باب أَوْلَى إلا بدليلٍ وبرهان.

فكم من مُتشدد في مسألة التحذير من التكفير – بحق وبغير حق – يُطلق العِنَان للسانِه في مسألة إخراج كلِّ مَن خالفه من أهل السنة والجماعة، أو من السلفيَّة، ورميه بالبدعة، بلا دليل ولا بُرهان، وقصر المصطلح عليه وعلى أتباعه ، وهذا أمر مشى عليه كل رواد الفكر الطائفي و الفرقي .

الفصل الثاني

الواقع التاريخي للخلافة الإسلامية

- المبحث الأول : ظهور مسمى أهل السنة والجماعة
- المبحث الثاني :خلافة المتوكل ونشر الحديث
- المبحث الثالث : البعد السياسي لمسمى أهل السنة والجماعة

الفصل الثاني : الواقع التاريخي للخلافة الإسلامية

عرفت الحقبة الاولى من تاريخ الاسلام – الانضباط التام باحكام التشريع الاسلامي من طرف الخلفاء الخاصة – في كل مناحي الحياة ابتداء من الصلاة بصفتها العلاقة و الرابطة الخاصة بين الله و الانسان – كفرد – ثم المعاملات العامة كالجوار و الصحة وأداء الحقوق ثم المعاملة المتعدية وهي العلاقة بالاسلام ذلك الدين الجديد و الفتي الذي كان يتهدده الخطر من جميع المحيط الذي كان يترصده من حوله يعج بافكار مناوئة ومعتقدات معادية و الخصومة ، ضف إلى ذلك عدم قدرة العرب التحول بسهولة عن معتقدات الاباء و الأجداد إلى دين جديد ، نظرا لتمكن العادات الجاهلية – نسبة إلى الفترة ماقبل الاسلام – ، وسيطرت القبيلة فكل ذلك حتم على المسلمين لحماية هذا الدين الكيان الجديد في جزيرة العرب التحلي بالشدة اللازمة و الصرامة الكاملة للمحافظة على أنفسهم ومجتمعهم الفتي .

من هنا كان قتال الدفع الذي التزم بأحكام القرآن الكريم و ظهر في مقاتلة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – لقريش غير ما اصطلح عليه في كتب السير بالغزوات و السرايا و لكون قريش هي القبيلة التي حملت على عاتقها مسؤولية حماية الماضي بموروثه الفكري و العقائدي و العاوائدي ونظم قد تزول بظهور الاسلام .

ثم انتقل ذلك الواجب بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وآله – إلى خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ، وقد عرفتهم هذه الحقبة والحدة و التراصة بين جميع شرائح المجتمع المسلم خلف – أمير المؤمنين – وهو يرمز إلى قدسية تمثيل مقام الرسول – صلى الله عليه وألى وسلم – كما أنه من الضروري التوقف عند أمر مهم جدا ، و هو أنه هذه الفترة تميزت بعدم وجود المصحف الشريف و انعدام حفاظ الكتاب الكريم إلا القليل كما أن التحديث عن رسول الله – صلى الله عليه و آله وسلم – كان ممنوعا أولا بأمر رسول الله – صلى الله عليه و آله وسلم – في حياته قال المحدث الدارمي في " سننه " :

الحديث رقم (450) أخبرنا يزيد بن هارون انا هشام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحهقال حسين سليم أسد – المحقق – : إسناده صحيح[28]

وبتنفيذ الخلفاء الراشدين أبي بكر و عمر لوصية الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – وتشددهم في تطبيقها حيث أنهما كانا يبالغان في تهديد أي أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله وسلم – من الحديث عنه بالنفي و الابتعاد .

تميزت هذه الحقبة عموما بالانضباط التام من قبل المسلمين للخلفاء وانعدام و جود المعلرض مع توفر فسحة واسعة للرأي الحر فقد كان أفراد الرعية ذكورا وإناثا يناقشون الخلفاء على رؤوس الملأ وكانوا يتقبلون ذلك بكل رحابة صدر كما كان من الرعية الرضا التام بالسلطة الزمنية على الرغم من وجود النقد .

من الملاحظ أن مسمى الجماعة لم يكن منتشرا و لا متداولا في الخطاب التواصلي بين الناس في هذه الحقبة ،و لا مصطلح السنة كمفهوم دلالي تتشكل بمقتضاه هيئات و كيانات . بعد تولي الخليفة الثالث – عثمان رضي الله عنه – الخلافة ومع قرب العهد بالعصبية القبلية المتغللفة في العقل العربي وحداثة إسلام زعماء قريش و سرعة توليهم للسلطة في العهد الجديد ، وتمكن رواسب الزعامة لديهم ضف إلى ذالك عامل التكتل و الانحياز حيث سعى آل شمس حلفائهم في الجاهلية بالعمل على استمالة أهل الشام الذين لم يعرفو من الصحابة إلا النزر القليل بسبب أن عمر رضي الله عنه كان يمنع الصحابة من مغادرة المدينة و لا يأذن لهم إلا لمهمة ، وغرسوا في المسلمين الجدد البعيدين عن البيئة القرشية و الخزرجية الأوسية ، أنهم الأقرب من رسول الله نسبا و الأكثر صحبة وزاد تأكيد ذلك طول مكثهم بينهم فتهيئة الأسباب للولاء التام لديهم ، في هذا الظرف الجديد المصحوب بالتغير الظاهر على مفهوم الصحابي حدثت سابقة خطيرة

28 – المؤلف : عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي/ الكتاب : سنن الدارمي/ الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت /الطبعة الأولى/ 1407 تحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي / الأجزاء : 2 /ج 1 / ص 130

فتحت أبواب الأهوال على المسلمين لم يستطيعوا معالجها إلى يوم الناس هذا .هذا الحدث هو التمرد على الخليفة و الإقدام على قتله علنا .

في هذا الوقت عادت مؤسسات النظام للقيام بواجبها وفق المعمول به و المتعارف عليه فاجتمع أهل الحل و العقد وهم الصحابة الكرام بالمدينة المنورة وقامو با ختيار الخليفة الرابع على بن أبي طالب ، فبدأت النزعات القديمة في البروز فالمهاجرون والأنصار بايعوا عليا في الوقت الذي قام بنو أمية برفضه و برفضهم له رفض المسلمون الجدد البعيدين عن مواطن الوحي أي مكة و المدينة في هذا الوقت بالذات كان الناس أوحج ما يكونوا إلى نص شرعي يرفع على الرؤوس يدعوا إلأى الجماعة ويحظ عليها ولكن لم يرو التاريخ ولا أهر السير أن أحد من الصحابة حدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر بالجماعة و تأثيم الخروج على الخليفة وهذ الذي يدفعنا لبحث هذا المفهوم " السنة و الجماعة " في هذه المباحث التالية :

المبحث الأول : ظهور مسمى أهل السنة والجماعة

بقي مصطلح أهل السنّة والجماعة غير شائع الاستخدام؛ فقد كان جميع المسلمون يندرجون تحت مُسمّى مسلمين فقط، ومع حلول العصر العباسي بدأت تَسمية أهل السنة بالشيوع والانتشار، وزداد انتشارها بشكلٍ أكبر بعد أنْ أسقط السلاجقة الدّولة البويهية، وانتشرت بعدها المدرسة النظامية في الحضارات الإسلامية والتي جاءت للتمييز بين أهل السنة التابعين للرّسول – صلى الله عليه وسلم – والشيعة.

إن من أكثر المفاهيم شيوعا في الساحة الفكرية الاسلامية خاصة في علوم أصول الدين ، وموضوعاته التي تدرس الملل و الفرق و النحل ، مفهوم "أهل السنة و الجماعة " و ما يثيره من تجاذبات من منطلق ما يوحي به من دلالة – عند منتسبيه – أنه الإسلام الصحيح ، كما هو الشأن في نظر كل فرقة ،أو طائفة ، والتي تذهب في دعواها إلى مثل ما ذلك من احتكار تمثيل الفهم الصحيح فيما هم عليه وحدهم

وسلب غيرهم من الطوائف الإسلامية الأخرى ذلك ووصفها بالضالة و المبتدعة والمنحرفة أو الخارجة عن الملة ، وقليلون من علماء النحل و الفرق من يدرسوا الفرق الإسلامية الأخرى دراسة موضوعية ومنصفة .

فهل يدل لقب (أهل السنة والجماعة) على أنهم وحدهم أتباع السنة النبوية دون غيرهم ؟

من هنا يتوجب علينا دراسة هذا الموضوع دراسة علمية مجردة ،وننظر إلى هذه المسألة بصورة موضوعية ، فالاسم وحده لا يكفي لتمييز فرقة على أخرى وتفضيلها ، والاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو عنوان وشعار تقول به وتحمل لواءه جميع الفرق الإسلامية الأخرى كالشيعة والمعتزلة وحتى الخوارج وغيرها . فكل هذه الفرق ترى وتؤكد وجوب التمسك بالسنة النبوية وتقديسها. فكيف كان إذن بداية نشوء مسمى أهل السنة والجماعة ؟

إن "إسم " (أهل السنة) مر بمراحل اختلفت اطلاقاته من حقبة لأخرى فكان أول ما استعمل في الدلالة على طائفة من العلماء المهتمين بتدوين الأحاديث النبوية وجمع السنن التي تتعلق بالعبادات ، والذين تخصص منهجهم في تحصيل العقائد والأحكام من ظواهر الروايات وعرفوا باسم (فرقة أهل الحديث) التي ظهرت في القرن الأول من تاريخ الإسلام أي العهد الأموي . ولما كان موضوع الأحاديث هو السنة النبوية فإن مصطلح السنة أصبح يستخدم في لغة المحدثين و الفقهاء " بديلا " لكلمة الحديث ، ولعل هذا المعنى الذي يشير إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز في رسالة التي يرد فيها على القدرية قال فيها : (. . . وقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة . . . ، وقول عمر بن الخطاب : إنه لا عذر لأحد عند الله بعد البينة إلا بضلالة ركبها حسبها هدى . . .)[29]. فالمتبادر من هذا السياق يوضح بكل جلاء هنا أن من يذكرهم إليهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هنا بوصفهم له بأنهم " أهل السنة

29 – المؤلف: الشيخ جعفر السبحاني/كتاب: بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية / الناشر: مؤسسة الامام الصادق /الطبعة: الاولى 1427هـ/ ج1 /ص 343

" هم أولئك العلماء الذين أمرهم بتدوين السنة النبوية وليس أي جماعة أو فرقة أو نحلة أو طائفة أخرى وإلا لما ميز بين قول عمر بن الخطاب وقول أهل السنة .

لابد هنا أن نظيف أن تدوين الأحاديث النبوية لم يبدأ إلا في مطلع القرن الثاني الهجري بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز رضيي الله عنه ، حيث كان التدوين ممنوعا " في عهود من قبله.

وعندما برز الإمام أحمد بن حنبل وأصبح رمزا من رموز الأمة بفعل ارتدادات الفتنة و العمل في الدفع بمهمة تدوين العقائد والمعارف المأخوذة من تلك الأحاديث بأمر من السلطة القائمة أنذاك في مطلع القرن الثالث الهجري ، وسع في استخدام مفهوم (أهل السنة) والذي كان مخصوصا " بالعلماء الحديث المشتغلين بالتدوين ،ليدخل فيه كذلك " عامة الناس الذين يقلدون مذهبه و المؤيدون لتيار الحديث و منهجه. وهنا ربما يكون الإمام أحمد بن حنبل أول من وظف مسمى " أهل السنة و الجماعة " للدلالة على الجماعة التي تنضوي في كيان تحدده المعتقدات المشتركة في الإيمانيات و الفقه و كذلك الولاء السياسي . وهذا طاهر بجلاء في كتابات أحمد بن حنبل رحمه الله حيث وضع كتاب سماه " أصول السنة " يذكر فيه (فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار)[30]

وبهذا يكون أحمد بن حنبل قد احتكر اسم أهل السنة ليكون عنوانا " خاصا " لبعض المسلمين دون غيرهم من أهل القبلة. ويصبح العمل على إيجاد الكيان وفق فهم معين و اعتقاد محدد ، ولعل هذه الرسالة التي ينقلها أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني (286 هـ). في كتابه " البدع " فيها من الدلالة الواضحة لبدايات تكوين طائفة " أهل السنة و الجماعة " :

30 – المؤلف : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني/كتاب:أصول السنة /الناشر : دار المنار – الخرج – السعودية /الطبعة الأولى ، 1411هـ/ عدد الأجزاء : 1/ ص 21

(وأخبرني محمد بن وضاح ، عن غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات[31] : « اعلم أي أخي أنما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة ، وعيبك لأهل البدعة ، وكثرة ذكرك لهم ، وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك ، وشد بك ظهر أهل السنة ، وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم ، فأذلهم الله بذلك ، وصاروا ببدعتهم مستترين ، فأبشر أي أخي بثواب ذلك ، واعتد به أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » من أحيا شيئا من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين « وضم بين أصبعيه ، وقال : » أيما داع دعا إلى هذا فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة « ، فمن يدرك أجر هذا بشيء من عمله ؟ وذكر أيضا أن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليا لله يذب عنها ، وينطق بعلاماتها ، فاغتنم يا أخي هذا الفضل ، وكن من أهله ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه وقال : » لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من كذا وكذا « ، وأعظم القول فيه ، فاغتنم ذلك ، وادع إلى السنة حتى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث ؛ فيكونون أئمة بعدك ، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء الأثر ، فاعمل على بصيرة ونية وحسبة ؛ فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر ، فتكون خلفا من نبيك صلى الله عليه وسلم ؛ فإنك لن تلقى الله بعمل يشبهه ، وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ ، أو جليس ، أو صاحب ؛ فإنه جاء الأثر : من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ، ووكل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام . وجاء :

---

31 – هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان قاضي القيروان، تلميذ مالك بن أنس. ولد سنة 142 هـ/759 م بحرّان من أعمال ديار بكر بالشام (وأصله من نيسابور). رحل أبوه من حرّان إلى القيروان في جيش محمد بن الأشعث عام 144هـ/761م وأخذه معه وهو طفل فنشأ بها وتفقه فيها. تلقى العلم بإفريقية عن علي بن زياد ثم ارتحل إلى المشرق في طلب العلم سنة 172 هـ/788م، وأخذ عن الإمام مالك، ثم ارتحل الي العراق وأخذ عن أبي يوسف والشيباني مذهب أبي حنيفة. ثم ارتحل إلي مصر، فقابل أئمة الفقة من أصحاب مالك، فأخذ عن ابن القاسم. اشتغل بعد رجوعه بالتدريس ونشر العلم. فكان يدرس المذهبين الكبيرين السائدين في العالم الإسلامي إذ ذاك، مذهب أهل الحديث في المدينة النبوية، ومذهب أهل الرأي في بغداد. فتتلمذ عليه الكثير أمثال سحنون بن سعيد. وهو أول من أدخل مذهب الإمام مالك إلى إفريقيا توفي عام شهر ربيع الثاني سنة 213 هـ/828 م

ما من إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى » ، وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع ، وأن الله لا يقبل منهم صرفا ، ولا عدلا ، ولا فريضة ، ولا تطوعا ، وكلما ازدادوا اجتهادا وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا ، فارفض مجالسهم ، وأذلهم ، وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى بعده)[32]

وإذا علمنا أن أسد بن الفرات توفي سنة 213هـ أي قيبل وفاة أحمد بن حنبل ب أزيد من 30 سنة .نجد أن الرواية التي تنسب نشأة السنة و الجماعة إلى أحمد تترجح ، ومن المهم جدا أن نذكر هنا أن المحدثين لم يكونوا على عقيدة و موقف من الأحداث واحدنقصد ما يتوقف عليه التصنيف من المواقف فربما يكون الإمام أحمد بن حنبل قام بذلك ليوحد آراء أهل الحديث التي كانت مختلفة ومشتتة قبله في مجال العقائد ، لأن الحالة التي كان عليها المحدثون قبل ظهور علم الجرح و التعديل لم تكن تلزم المحدث أي اتجاه عقائدي كما يصفها السيوطي في معرض تعليقاته على الرواة التي تقبل روايتهم في كتابه تدريب الراوي:

" (وضعف) القول (الأول باحتجاج صاحبي الصحيحين وغيرهما بكثير من المبتدعة غير الدعاة) كعمران بن حطان وداود بن الحصين قال الحاكم وكتاب مسلم ملآن من الشيعة وقد ادعى ابن حبان الاتفاق على رد الداعية وقبول غيره بلا تفصيل تنبيهات الأول قيد جماعة قبول الداعية بما إذا لم يرو ما يقوي بدعته صرح بذلك الحافظ أبو إسحق الجوزجاني شيخ أبي داود والنسائي فقال في كتابه معرفة الرجال ومنهم زائغ عن الحق أي عن السنة صادق اللهجة فليس فيه حيلة إلا أن يؤخذ من حديثه ما لا يكون منكرا إذا لم يقو به بدعته وبه جزم شيخ الإسلام في النخبة وقال في شرحها ما قاله الجوزجاني متجه لأن العلة التي لها رد حديث الداعية واردة فيما إذا كان الظاهر المروي يوافق مذهب المبتدع ولو لم يكن داعية الثاني قال العراقي اعترض عليه بأن الشيخين أيضا احتجا بالدعاة فاحتج البخاري بعمران بن حطان وهو من الدعاة واحتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني داعية إلى الإرجاء وأجاب بأن أبا داود قال ليس في أهل الأهواء أصح

32 – المؤلف:أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني (286 هـ)./ كتاب: البدع / تحقيق محمد أحمد دهمان/الناشر: صدر عن دار الصفا، القاهرة سنة1411 هـ/ط 1 /ص 7

حديثا من الخوارج ثم ذكر عمران بن حطان وأبا حسان الأعرج قال ولم يحتج مسلم بعبد الحميد بل أخرج له في المقدمة وقد وثقه ابن معين الثالث الصواب أنه لا يقبل رواية الرافضة وساب السلف كما ذكره المصنف في الروضة في باب القضاء في مسائل الإفتاء وإن سكت في باب الشهادات عن التصريح باستثنائهم إحالة على ما تقدم لأن سباب المسلم فسوق فالصحابة والسلف من باب أولى وقد صرح بذلك الذهبي في الميزان فقال البدعة على ضربين صغرى كالتشيع بلا غلو أو بغلو كمن تكلم في حق من حارب عليا فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والغلو فيه والحط على أبي بكر)"[33]

فهذا النص يكشف فيه عن وجوداتجاهات متعددة ومتناقضة عندهم ارتضاها أصحاب الحديث الكبار كالبخاري و المسلم ، و ربما كان عمل الإمام الحنابلة هو التوحيد بينهم والقضاء على ما كان يطهر في نظر أهل السنة الفاسد من آرائهم ومذاهبهم . فهم كانوا وفق ما يفهم من وصف السيوطي لهم بين مرجئة ونواصب وشيعة وقدرية وجهمية وخوارج وواقفية وغير ذلك.

وأماالرأي الثاني حول تعليل أصل التسمية بأهل السنة والجماعة ، فيذكر الحاكم النيسابوري أنه لما أمر معاوية بلعن الإمام علي بن أبي طالب على المنابر ادعى أن ذلك سنة يثاب فاعلها ، وسمي ذلك العام (عام السنة)وما يؤيد ذلك مارواه الذهبي رحمه الله في كتابه تاريخ الإسلام :

(محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان أمير اليمن. قال عبد الرزاق بن همام، عن أبيه، عن عبد الملك بن خشك، عن حجر المدري قال: قال علي بن أبي طالب: كيف بك إذا أمرت أن تلعني قلت:

33 – المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ كتاب: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي /الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف/د:ط/ عدد الأجزاء : 2 /ج 1 /ص 326

وكائنٌ ذلك قال: نعم. قلت: فكيف أصنع قال: العني ولا تبرأ مني. قال: فأمره محمد بن يوسف أن يلعن علياً، فقال: إن الأمير أمرني أن) ألعن علياً فالعنوه. لعنه الله، فما فطن لها إلا رجلٌ.)[34]

ولما قتل علي بن أبي طالب وأصلح الحسن مع معاوية ، واستقر الأمر للأمويين ،(قام معاوية بتسمية ذلك العام (عام الجماعة) ، تمشيا " على ما يبدو مع الحديث الذي وضع خصيصا " لهذه المناسبة والذي يصف الفرقة الناجية : (. . . وواحدة في الجنة وهي الجماعة) . فأصبح كل من يعتقد بإمامة معاوية يقول نحن (أهل السنة والجماعة) ، ومن الواضح أن المراد بهم ليس أتباع سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا الجماعة الناجية)[35].

وأما ابن تيمية الحنبلي فله رأي ثالث في منشأ التسمية والمذهب يشير فيه إلى أنه يتأسس على المعتقد الكلامي البحت فيقول :

(فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول إن القرآن غير مخلوق وإن الله يرى في الآخرة ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة وهذا الرافضي يعنى المصنف جعل أهل السنة بالإصطلاح الأول وهو اصطلاح العامة كل من ليس برافضي قالوا هو من أهل السنة ثم أخذ ينقل عنهم مقالات لا يقولها إلا بعضهم مع تحريفه لها فكان في نقله من الكذب والإضطراب ما لا يخفى على ذوي الألباب وإذا عرف أن مراده بأهل السنة السنة العامة فهؤلاء متنازعون

34 – المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.. دار النشر: دار الكتاب العربي. مكان النشر: لبنان/ بيروت. سنة النشر: 1407هـ – 1987م. الطبعة: الأولى.تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري الجزء السادس الصفحة 470

35 – المؤلف :أسعد وحيد القاسم كتاب: أزمة الخلافة و الإمامة وآثارها المعاصرة بيروت /ط 1 /1997م/ ص 253

في إثبات الجسم ونفيه كما تقدم والإمامية أيضا متنازعون في ذلك وأئمة النفاة هم الجهمية من المعتزلة ونحوهم يجعلون من أثبت الصفات مجسما بناء عندهم على أن الصفات لا تقوم إلا بجسم ..)[36]

فقوله أن أهل السنة تعني من اعتقد بخلافة الخلفاء الثلاثة الأوائل ينسجم مع ما نسب إلى معاوية في الرأي الثاني.

فمعاوية لم يكن يعمل فقط على ترسيخ فكرة أفضلية الثلاثة الأوائل وإثبات أحقيتهم بالخلافة ، وإنما قام بمحاربة الخليفة الرابع وعمل بكل ما أوتي من سلطات على التقليل من فضائل أهل

البيت ورفع غيرهم من الصحابة ، وتجاوز ذلك إلى حد أمره لخطباء المسلمين بسب الإمام علي بن أبي طلب على المنابر واعتبار ذلك سنة.

كما يظهر من قول ابن تيمية كذلك أن أهل السنة يراد بها أهل الحديث والسنة المحضة ، فإنه لا يتعارض مع الرأي الأول والذي أعطى فيه لقب أهل السنة لمعتنقي العقائد والمعارف التي استخرجها ودونها رجال الحديث، وهو مهعين بذكره للتجسيم و الجهة .

ومما سبق فإن القول أن شوء طائفة " أهل السنة و الجماعة " ينظر إليها من ناحيتين : الأولى متعلقة بالإمامة والخلافة ببعدها السياسي الذي يعد دوره بارز الأثر ، والثانية متعلقة بالعقائد والأحكام، وكذلك المواقف من النزاعات السياسية .

فأما من الناحية البعد السياسي ، فقد حدث بشأنها أول نزاع واختلاف حول الإمامة وأحقيتها بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في سقيفة بني ساعدة عندما ادعى كل طرف من المهاجرين والأنصار أحقية الولاية ، ولم يحضرها علي بن أبي طالب ولا بني هاشم وبعض الصحابة .

36 – المؤلف :تقي الدين أحمد بن تيمية الكتاب :منهاج السنة النبوية / المحقق : د. محمد رشاد سالم/ الناشر : مؤسسة قرطبة / الطبعة الأولى/ عدد الأجزاء : 8 /ج 1/ص 132

ومن هنا يمكن أن يترجح القول الذي يعتبر أن ولادة فرقة أهل السنة كانت في السقيفة وإن لم يظهر من معالمها المميزة آنذاك سوى الخط السياسي ، حيث كان يعرف الأتباع من تأييدهم لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان عند من يقول به ، ثم نما وترعرع هذا الخط في عهد الأمويين بحيث كانت تظهر السلطة الحاكمة كممثل ومدافع عن خلافة الثلاثة ، وانحاز المعارضون لها تحت مسمى أهل البيت مما عرضهم للإقصاء .

(وأما من ناحية العقائد والأحكام ، فقد كان ظهور أهل السنة والجماعة كفرقة إسلامية لها عقائدها المميزة ومدرستها الفكرية والفقهية المستقلة والواضحة المعالم على يد جماعة أهل الحديث في أواخر العصر الأموي ، ثم تبلورت ونضجت زمن الإمام أحمد بن حنبل في مطلع القرن الثالث الهجري.

ولكن لا بد من الملاحظة هنا أن ابن حنبل ومن قبله أهل الحديث قد استندوا فيما ذهبوا إليه من عقائد وأحكام بصورة كبيرة على (اجتهادات) الخليفة عمر وآلاف الأحاديث التي رواها

الصحابة معتبرين صحتها جميعا " ، مما يظهر تأثرهم وارتباطهم الوثيق بالخط السياسي ، والذي تولد نتيجة لصراعات وتنازعات تدخلت فيها الأهواء ، بل وسالت بسببها بحار من الدماء ، الأمر الذي يضع كثيرا " من تلك العقائد والأحكام في محل الشك والارتياب)[37]

المبحث الثاني : خلافة المتوكل ونشر الحديث

يذهب الكثير من الدارسين والمهتمين بالبحث في تاريخ تدوين الحديث النبوي و السنة الشريفة الى القول أو الإتفاق بأنها لم تدوّن حتى نهاية ق1هـ ، مع وجود بعض التدوينات التي تسمت بالصحف و التي كان بعض الصحابة يكتبون فيها بعض ما سمعوه من أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) ; كصحيفة جابر بن عبدالله وصحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص التي سميت (الصادقة) وغيرهما.

37 - ابن تيمية المصدرالسابق ص 245

وكانت البداية الأُولى لكتابة الحديث قد بدأت في مطلع ق2هـ، بعد ما أمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز المتوفى101 هـ، قال السيوطي:

"واما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره ففي صحيح البخاري في أبواب العلم وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ كتب عمر ابن عبد العزيز إلى الآفاق انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فاجمعوه قال في فتح الباري يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي ثم أفاد أن أول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب الزهري "[38]ويعدّ الزهري أوّل من دوّن الحديث، ولكنه قد فعل ذلك بأمر من الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، أو عبدالملك نفسه، بل بشيء من الإكراه:

(قال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: خرج الزهري من الخضراء من عند عبدالملك، فجلس عند ذلك العمود، فقال: يا أيها الناس، إنا كنا قد منعناكم شيئا قد بذلناه لهؤلاء، فتعالوا حتى أحدثكم، قال: فسمعهم يقولون: قال رسول الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أهل الشام: مالي أرى أحاديثكم ليست لها أزمة ولا خطم ؟ ! قال الوليد: فتمسك أصحابنا باللأسانيد من يومئذ، وروى نحوها من وجه آخر: أنه كان يمنعهم أن يكتبوا عنه، فلما ألزمه هشام بن عبدالملك أن يملي على بنيه، أذن للناس أن يكتبوا.

وعن معمر، عن الزهري، قال: كنا نكره الكتاب، حتى أكرهنا عليه الامراء، فرأيت أن لا أمنعه مسلما.

38 - عبدالرحمن بن أبي بكرالسيوطي المصدر السابق/ ج1 /ص90

وروى الوليد بن مسلم، قال: خرج الزهري من الخضراء، من عند عبدالملك، فجلس عند ذلك العمود فقال: يا أيها الناس، إنا كنا قد منعناكم شيئاً)[39]

تعتبر الحقبة البداية الحقيقية للتدوين و الكتابة و الإقبال الفعلي على جمع الحديث ، حيث أقبل الناس على السنة النبوية ، و عم الإشتغال بها، ولكن هذا لا يمنع من أن الحديث كان ممنوعا بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم و بقي الخلفاء الراشدون من بعده على ذلك ، واستمر الأمر طيلة أكثر من قرن من الزمان، بل وكان هناك تشديد على منع روايته، الى أن فتح معاوية بن أبي سفيان الباب للحديث، بعد أن اضطر لتبرير سياسته ووضعيته السلطوية خاصة بعد مقتل الصحابي الجليل عمار بن ياسر و الذي كان مقتله إدانة لفريق معاوية .

وكان لهذا الرفض منبر ، مما جعل الكثير من الفقهاء و العلماء يتنزهون عن الحديث بسبب ذلك،كأبي حنيفة ومالك بن أنس وظهرت مدرسة الرأي بزعامة أبي حنيفة النعمان الذي أعرض عن معظم الأحاديث المتناقلة بين الناس، وتبعه على ذلك معظم الذين تمسكوا بالقياس، لذا فقد تعرض إمام الأحناف الى حملة تشهير شديدة من قبل أصحاب الحديث الذين كانوا يذمّون القياس وردّ الأحاديث. قال ابن عبدالبرّ:

(قال أبو عمر: أفرط أصحاب الحديث في ذم أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك، والسبب والموجب لذلك عندهم إدخاله الرأي والقياس على الآثار واعتبارهما، وأكثر أهل العلم يقولون: إذا صح الأثر بطل القياس والنظر، وكان رده لما رد من أخبار الآحاد بتأويل محتمل، وكثير منه قد تقدمه إليه غيره، وتابعه عليه مثله ممن قال بالرأي، وجل ما يوجد له من ذلك ما كان منه اتباعا لأهل بلده كإبراهيم النخعي وأصحاب ابن مسعود، إلا أنه أغرق وأفرط في تنزيل النوازل هو وأصحابه والجواب فيها برأيهم واستحسانهم فأتى منه من ذلك خلاف كبير للسلف وشنع، وهي عند مخالفيهم بدع، وما أعلم أحدا من أهل العلم إلا وله تأويل في

39 – المؤلف : الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى 748 هـ 1374 م /كتاب:سير أعلام النبلاء/ تحقيق : شعيب الارنؤوط /الناشر : مؤسسة الرسالة/ط الثالثة1405هـ ـ1985م/عدد الأجزاء 25/ج5/ص335

آية أو مذهب في سنة رد من أجل ذلك المذهب سنة أخرى بتأويل سائغ أو ادعاء نسخ، إلا أن لأبي حنيفة من ذلك كثيرا وهو يوجد لغيره قليل.

وقد ذكر يحي بن سلام، قال: سمعت عبد الله بن غانم، في مجلس إبراهيم بن الأغلب يحدث عن الليث بن سعد، أنه قال: أحصيت على مالك بن أنس سبعين مسألة كلها مخالفة لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- مما قال مالك فيها برأيه.

قال: ولقد كتبت إليه في ذلك.)[40]

ولم يكن أبو حنيفة وأتباعه من أصحاب مدرسة الرأي هم وحدهم في ذلك الموقف من الحديث المتداول بين الناس، فنجد كذلك ابن القاسم صاحب الإمام مالك له موقف من الأحاديث :

(قال يحي: كنت آتي عبد الرحمان بن القاسم، فيقول لي من أين يا أبا محمد؟ فأقول له: من عند عبد الله بن وهب. فيقول لي: اتق الله، فإن أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل. ثم آتي عبد الله بن وهب، فيقول لي من أين؟ فأقول له:من عند ابن القاسم، فيقول لي اتق الله، فإن أكثر هذه المسائل رأي، ثم يرجع يحي فيقول: رحمهما الله فكلاهما قد أصاب في مقالته. نهاني ابن القاسم عن إتباع ما ليس عليه العمل من الحديث، وأصاب. ونهاني ابن وهب عن كلفة الرأي، وكثرته، وأمرني بالإتباع وأصاب. ثم يقول يحي: إتباع ابن القاسم في رأيه رشد. واتباع ابن وهب في أثره هدى.)[41]

ولم يكن موقف المدرسة العقلية ببعيد عن موقف الفقهاء من الحديث فقد كان المعتزلة أكثر الطوائف حيطة و أخذوا بجانب الحذر منه أيضاً، وبرروا ذلك بأسباب موضوعية ، كوجود التضاد والتناقض بين الأحاديث

---

40 – المؤلف: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي /كتاب: جامع بيان العلم وفضله / دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي /الناشر: مؤسسة الريان – دار ابن حزم/ الطبعة الأولى 1424-2003 هـ /عدد المجلدات: 2 /ج2 /ص 289

41 – المؤلف : أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي/ كتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغرب 1983م/ ط2 /عدد الأجزاء 08 /ج 1 /ص 200

مما لا يمكن صدوره عن النبي (صلى الله عليه وآله)، سواء في الأُصول – حيث تروي كل فرقة ما يؤيد وجهة نظرها– أو في الفروع أيضاً– كاختلاف روايات العراقيين والحجازيين– وكذلك رواياتهم للأحاديث التي تنافي تنزيه الله سبحانه وتعالى، حيث تصوّره وفق العقائد التي تدعو الى التجسيم والتشبيه والحلول، وكذلك تناقضهم في الجرح والتعديل.

ولقد أحدث ظهور الخديث موجة شديدة من الصراع ، انتقل فيه الفكر من النظر و البحث إلى السباب و الجدال و التنابز بالألقاب وكل ذلك مسنودا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بن قتيبة :

(وقد أخذ الناس على الشعراء في الجاهلية والإسلام الخطأ في المعاني وفي الإعراب وهم أهل اللغة وبهم يقع الاحتجاج فهل أصحاب الحديث في سقطهم إلا كصنف من الناس على أنا لا نخلى أكثرهم من العذل في كتبنا في تركهم الاشتغال بعلم ما قد كتبوا والتفقه بما جمعوا وتهافتهم على طلب الحديث من عشرة أوجه وعشرين وجها وقد كان في الوجه الواحد الصحيح والوجهين مقنع لمن أراد الله عز و جل بعلمه حتى تنقضي أعمارهم ولم يخلوا من ذلك إلا بأسفار أتعبت الطالب ولم تنفع الوارث فمن كان من هذه الطبقة فهو عندنا مضيع لحظه مقبل على ما كان غيره أنفع له منه وقد لقبوهم بالحشوية والنابتة والمجبرة وربما قالوا الجبرية وسموهم الغثاء والغثر وهذه كلها أنباز لم يأت بها خبر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم كما أتى عنه في القدرية أنهم مجوس هذه الأمة فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوا جنائزهم وفي الرافضة برواية ميمون بن مهران عن بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الإسلام ويلفظونه فاقتلوهم فإنهم مشركون وفي المرجئة صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي لعنوا على لسان سبعين نبيا المرجئة والقدرية وفي الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وهم كلاب أهل النار فهذه أسماء من رسول الله صلى الله عليه و سلم وتلك أسماء مصنوعة وقد يحمل بعضهم الحمية على أن يقول الجبرية هم القدرية ولو كان هذا الاسم يلزمهم لاستغنوا به عن الجبرية ولو ساغ هذا لأهل القدر لساغ مثله للرافضة والخوارج والمرجئة وقال كل فريق منهم لأهل الحديث مثل

الذي قالته القدرية والأسماء لا تقع غير مواقعها ولا تلزم إلا أهلها ويستحيل أن تكون الصياقلة هم الأساكفة والنجار هو الحداد والفطرة التي فطر الناس عليها والنظر يبطل ما قذفوهم به.)[42]

استمرت حركة تدوين الحديث في أواخر العصر الأموي، ولم تظهر المدوّنات المبوّبة للأحاديث في تلك الفترة، بل في أوائل عصر الدولة العباسية: حيث نهض بهذه المهمة عدد من العلماء، كابن جريج 150 هـ، ومعمّر بن راشد 154 هـ، وسفيان الثوري 161 هـ، وسفيان بن عينية 198 هـ وغيرهم.

إلاّ أن أهم المدونات التي حظيت بالقبول وذاع صيتها هو موطأ مالك بن أنس، الذي كتبه بإيعاز من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، الذي قال لمالك –كما يروي هو–: لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك ونبثّها في الأمصار، ونعهد إليهم أن لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها.

فقلت له: أصلح الله الأمير، إن أهل العراق لا يرضون علمنا، ولا يرون في عملهم رأينا. فقال أبو جعفر; يُحملون عليه، ونضرب عليه هاماتهم بالسيف، ونقطع طيّ ظهورهم بالسياط

وفي سنة أربع وثلاثين (بعد المائتين) أشخص المتوكل الفقهاء والمحدّثين، فكان بينهم مصعب الزبيري، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وإبراهيم بن عبدالله الهروي، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة –وكان من الحفاظ– فقسّمت بينهم الجوائز، وأمرهم المتوكل أن يحدّثوا بالأحاديث التي فيها الردّ على المعتزلة والجهمية، فجلس عثمان في مدينة المنصور، واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً، وجلس أبو بكر في مسجد الرصافة، وكان أشدّ تقدماً من أخيه، واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً"[43] .

---

42 – المؤلف : عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري/كتاب:تأويل مختلف الحديث /الناشر : دار الجيل – بيروت ، 1393 – 1972 /تحقيق : محمد زهري النجار /د:ط/عدد الأجزاء : 1 /ص 82

43 – تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي /كتاب:تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/دار النشر: دار الكتاب العربي. /مكان النشر: لبنان/ بيروت. سنة النشر: 1407هـ – 1987م/الطبعة:الأولى/تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري/ج 17/ص18

والخلاصة أن الحديث جمع بإعاز من السلطة القائمة ، ولم يكن الدافع العلم و المعرفة لذاتها ، بل غلب جانب الخصومة و الحاجة إلى الحجة الرادعة ، في ضل انعدام الحجة العقلية البرهانية .

المبحث الثالث : البعد السياسي لمسمى أهل السنة والجماعة

عرفت عاصمة الخلافة في القرنين الثالث و الرابع حالة شديدة من الاضطراب و الفوضى التي كانت تغذيها النزعات الطائفية ذات الخلفية الدينية ، وصاحبها ضعف من الدولة المركزية ، هذا الضعف تمثل في غياب النظرة السياسية الحكيمة لحل النزاع ، ولم يجد الخلفاء من بد سوى الميل كل مرة إلى طائفة من الطوائف ، بحسب ما يقتضيه تموقع العامة ، فإذا كان السواد الاعظم سنيا ، كانت قرارات الخلافة سنية ، وإن مال العامة مع الشيعة كان القرار لصالح الطائفة الشيعية ، هذه الصورة تتضح من خلال التدخل المباشر للسلطة في إلزام العامة الإعتقاد الذي تقتضيه المرحلة الراهنة ، فقد كان هناك حزبان فاعلان على الساحة الاسلامية ، قوة سياسية سنية حاكمة ومعارضة سياسية شيعية ضاغطة ، ونحن نتكلم عن طائفة " السنة و الجماعة " ككيان سياسي بحث فرض رؤاه و تصوراته الدينية بقوة السلطة وهذا من خلال الشواهد التالية التي حفظها التاريخ فالمؤرخ " ابن كثير" يشيد بالخليفة المتوكل على الله (247هـ) ويثني عليه لسبب انحيازه لطائفة السنة حيث يقول (وقد دخل عبد العزيز بن يحي الكناني – صاحب كتاب الحيدة – على المتوكل وكان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون ، فإنهم أساؤا إلى أهل السنة وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم .)[44]

كما أن هذا الاتجاه الذي بفعل سياسة التميز بين الطوائف لم يكن يمارس ضد الشيعة فقط لذلك نجده يطال أهل الذمة من مواطني الخلافة حيث (أمر المتوكل أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وثيابهم، وأن يتطيلسوا بالمصبوغ بالقلى وأن يكون على عمائمهم رقاع مخالفة للون ثيابهم من

44 – المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : 774هـ) البداية والنهاية حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه : علي شيري الناشر : دار إحياء التراث العربي الطبعة : طبعة جديدة محققة / الطبعة الاولى 1408 هـ - 1988م ج 10 ص 338

خلفهم ومن بين أيديهم، وأن يلزموا بالزنانير الخاصرة لثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم، وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة، وأن لا يركبوا خيلا، ولتكن ركبهم من خشب، إلى غير ذلك من الأمور المذلة لهم المهينة لنفوسهم، وأن لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم، وأمر بتخريب كنائسهم المحدثة، وبتضييق منازلهم المتسعة، فيؤخذ منها العشر، وأن يعمل مما كان متسعا من منازلهم مسجد، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض، وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق، وإلى كل بلد ورستاق.)[45] وتستمر سياسة الدولة ضد المعارضة ففي سنة ست وثلاثين ومائتين فيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من المنازل والدور، ونودي في الناس من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبت به إلى المطبق.وفي الاتجاه المعاكس كانت الحضوة تنال تشكلات " أهل السنة و الجماعة " و الانتصار لرموزهم ، ورد الاعتبار لهم بعد حادثة فتنة " خلق القرآن "ففي عيد الفطر منها أمر المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه، ففرح الناس بذلك فرحا شديدا، واجتمع في جنازته خلق كثير جدا، وجعلوا يتمسحون بها وبأعواد نعشه، وكان يوما مشهودا.

ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به، وأرهج العامة بذلك فرحا وسرورا، فكتب المتوكل إلى نائبه يأمره بردعهم عن تعاطي مثل هذا وعن المغالاة في البشر، ثم كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت.

وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير، ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه .

لم يتوقف الأمر عند تقريب أحمد بن حنبل بل أظهر الشيخ الولاء التام للسلطة القائمة حيث يقول :

45 – ابن كثير المصدرالسابق ج 10ص 345

(وإني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والعلانية، وفي عسري ويسري ومنشطي ومكرهي، وأثره علي، وإني لأدعو الله بالتسديد والتوفيق، في الليل والنهار)[46]

بل تذهب الروايات إلى أن الخليفة كان يثق في أحمد بن حنبل رغم الوشايات التي كانت تصله عنه حيث (كتب رجل رقعة إلى المتوكل يقول: يا أمير المؤمنين إن أحمد يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة.

فكتب فيها المتوكل: أما المأمون فإنه خلط فسلط الناس على نفسه، وأما أبي المعتصم فإنه كان رجل حرب ولم يكن له بصر بالكلام، وأما أخي الواثق فإنه استحق ما قيل فيه.

ثم أمر أن يضرب الرجل الذي رفع إليه الرقعة مائتي سوط، فأخذه عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فضربه خمسمائة سوط.

فقال له الخليفة: لم ضربته خمسمائة سوط ؟ فقال: مائتين لطاعتك ومائتين لطاعة الله، ومائة لكونه قذف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل.

وقد كتب الخليفة إلى أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال تعنت ولا امتحان ولا عناد.) [47]

لم يتوقف أمر انحياز السلطة إلى طائفة السنة و الجماعة واقتصار الأمر على رد الاعتبار جراء المظلومية التي طالت رموزها ومحو آثار أزمة "خلق القرآن " بل بلغ الأمر إلى تبني عقيدة " أهل السنة و الجماعة " و البراءة من كل من خالفها من الرعية وظهر ذلك في مرسوم ملكي صادر من مكتب الخلافة و عمم على سائر العمالات و الأقاليم التابعة للخلافة

46 - ابن كثير المصدر السابق ج 10 ص 372

47 - ابن كثيرالمصدر السابق ج10ص 372

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

(وفيها – أي سنة 433هـ – قرئ الاعتقاد القادري الذي جمعه الخليفة القادر، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فسق وكفر، وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني، ثم كتب بعده العلماء، وقد سرده الشيخ أبو الفرج بن الجوزي بتمامه في منتظمه، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف.)[48]

نص البيان القادري من كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – (8 / 109):

اخبرنا محمد بن ناصر الحافظ حدثنا ابو الحسين محمد بن محمد بن الفراء قال اخرج الامام القائم بامر الله امير المؤمنين ابو جعفر ابن القادر بالله في سنة نيف وثلاثين واربعمائة الاعتقاد القادري الذي ذكره القادر فقرىء في الديوان وحضر الزهاد والعلماء وممن حضر الشيخ ابو الحسن علي بن عمر القزويني فكتب خطه تحته قبل ان يكتب الفقهاء وكتب الفقهاء خطوطهم فيه ان هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر وهو يجب على الانسان ان يعلم ان الله عزو جل وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احدا لم يتخذ صاحبه ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك وهو اول لم يزل وآخر لم يزل قادر على كل شيء غير عاجز عن شيء اذا اراد شيئا قال له كن فيكون غنى غير محتاج الى شيء لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يطعم ولا يطعم لا يستوحش من وحده ولا يأنس بشيء وهو الغنى عن كل شي لا تخلفه الدهور والازمان وكيف تغيره الدهور والازمان وهو خالق الدهور والازمان والليل والنهار والضوء والظلمة والسموات والارض وما فيها من انواع الخلق والبر والبحر وما فيهما وكل شيء حي او موات او جماد كان ربنا وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجته اليه فاستوى عليه كيف شاء واراد لا استقرار راحة كما يستريح الخلق وهو مدبر السموات والارضين ومدبر ما فيهما ومن في البر والبحر ولا مدبر غيره ولا حافظ سواه يرزقهم ويمرضهم ويعافيهم ويميتهم ويحيهم والخلق

48 – ابن كثير المصدرالسابق ج 12ص 62

كلهم عاجزون والملائكة والنبيون والمرسلون والخلق كلهم اجمعون وهو القادر بقدرة والعالم بعلم ازلي غير مستفاد وهو السميع بسمع والمبصر ببصر يعرف صفتهما من نفسه لا يبلغ كنههما احد من خلقه متكلم بكلام لا بآلة مخلوقة كآلة المخلوقين لا يوصف الا بما وصف به نفسه او وصفه به نبيه عليه السلام وكل صفة وصف بها نفسه او وصفه بها رسوله فهي صفة حقيقة لا مجازية ويعلم ان كلام الله تعالى غير مخلوق تكلم به تكليما وانزله على رسوله صلى الله عليه و سلم على لسان جبريل بعد ما سمعه جبريل منه فتلاه جبريل على محمد وتلاه محمد على اصحابه وتلاه اصحابه على الامة ولم يصر بتلاوة المخلوقين مخلوقا لانه ذلك الكلام بعينه الذي تكلم الله به فهو غير مخلوق فبكل حال متلوا ومحفوظا ومكتوبا ومسموعا ومن قال انه مخلوق على حال من الاحوال فهو كافر حلال الدم بعد الاستتابة منه ويعلم ان الايمان قول وعمل ونية وقول باللسان وعمل بالاركان والجوارح وتصديق به يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو ذو اجزاء وشعب فارفع اجزائه لا اله الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الايمان والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد والانسان لا يدري كيف هو مكتوب عند الله ولا بماذا يختم له فلذلك يقول مؤمن ان شاء الله وارجو ان اكون مؤمنا ولا يضره الاستثناء والرجاء ولا يكون بهما شاكا ولا مرتابا لأنه يريد بذلك ما هو مغيب عنه عن امر آخرته وخاتمته وكل شيء يتقرب به الى الله تعالى ويعمل لخالص وجهه من انواع الطاعات فرائضه وسننه وفضائله فهو كله من الايمان منسوب اليه ولا يكون للايمان نهاية ابدا لأنه لا نهاية للفضائل ولا للمتبوع في الفرائض ابدا ويجب ان يحب الصحابة من اصحاب النبي صلى الله عليه و سلم كلهم ونعلم انهم خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم وان خيرهم كلهم وافضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ابو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ويشهد للعشرة بالجنة ويترحم على ازواج رسول الله صلى الله عليه و سلم ومن سب عائشة فلاحظ له في الاسلام ولا يقول في معاوية الا خيرا ولا يدخل في شيء شجر بينهم ويترحم على جماعتهم قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم وقال فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ولا يكفر بترك شيء من الفرائض غير الصلاة المكتوبة وحدها فانه من تركها من

غير عذر وهو صحيح فارغ حتى يخرج وقت الاخرى فهو كافر وان لم يجحدها لقول النبي صلى الله عليه و سلم بين العبد والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر ولا يزال كافرا حتى يندم ويعيدها فان مات قبل ان يندم ويعيد او يضمران يعيد لم يصل عليه وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف وسائر الاعمال لا يكفر بتركها وان كان يفسق حتى يجحدها ثم قال هذا قول اهل السنة والجماعة الذي من تمسك به كان على الحق المبين وعلى منهاج الدين والطريق الواضح ورجى به النجاة من النار ودخول الجنة ان شاء الله

وقال النبي صلى الله عليه و سلم وعلم الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم وقال عليه السلام ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت إليه فان قبلها يشكر والا كانت حجة عليه والله ليزداد بها اثما ويزاد بها من الله سخطا جعلنا الله لآلائه من الشاكرين ولنعمائه ذاكرين وبالسنة معتصمين وغفر لنا ولجميع المسلمين)[49]

49 – المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج /كتاب : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم /الناشر : دار صادر – بيروت /الطبعة : الأولى ، 1358هـ /عدد الأجزاء : 10 /ج 8 /ص111

الفصل الثالث

الأثر الأيديولوجي لمفهوم السنة والجماعة

- المبحث الأول : أثر علم الكلام في نشأة اهل السنة والجماعة
- المبحث الثاني : تنازع مسمى السنة والجماعة بين المتكلمين (الاشاعرة والماترودية والمحدثين)
- المبحث الثالث: البعد الأيديولوجي لمدلول السنة والجماعة
- الخاتمة : تكلل هذا العمل بإيجاز النتائج وأفاق الدراسة.

المبحث الأول : أثر علم الكلام في نشأة اهل السنة والجماعة

لقد عرفت فترة ما بعد النص طفرة كبيرة في إعمال العقل وذلك عندما انتشر المصحف الشريف وعم تداوله في جميع البقاع التي انتشر فيها الإسلام ، احتاج المسلمون إلى جملة من العلوم للحفاظ عليه ابتداء من علم اللغة، والذي كان من أوائل العلوم التي ظهرت وتطورت في البلاد الإسلامية، ولم يكن وجود الدرس اللغوي لذات اللغة بل كان لحفظ الفهم للقرآن الكريم ثم ظهرت علوم القرآن الكريم وهي جملة من المسائل التي تحدد وتضبط المنهج القويم لحفظ الفهم السليم للكتاب العزيز وهي علم الناسخ ، والمنسوخ ، وعلم أسباب النزول، ومعرفة المكي ، و المدنى وعندما وقع التماس بين الإسلام كدين والنصرانية واليهودية واصطدام بين العقائد الإيمانية بين هذه الديانات الثلاث والتي تشترك في المصدر أي من حيث أنها كلها أديان سماوية تؤمن وتؤسس المعرفة على الوحي. هذا جعل هذه المعرفة محل التباس مما أدى إلى وجود نوع من الحوار، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب بل تعدى هذا الصدام إلى الالتحام بالمدارس الوضعية، كالمنوية و الغنوصية بالشرق والاشراقية بالشمال، مما اضطر المسلمون إلى نقل معارف اليونان والإغريق إلى العربية، ويشهد التاريخ بأن أول طائفة تصدت للمناظرة و المنافحة عن الإسلام و عقائده الإيمانية ضد خصومه هي طائفة المعتزلة حتى وإن كان أول ما يؤرخ لها يؤرخ لها بالمسألة المشهورة المنزلة بين المنزلين و التي هي في الحقيقة مسألة شرعية إسلامية أي لم تكن مسألة جدلية بين الإسلام وخصومه ، وبعدها ظهر ما تعارف عليه بعلم الكلام، فما هو علم الكلام؟ وما هو تأثيره في نشأة أهل السنة والجماعة؟

علم الكلام :

الكلام مشتق من الفعل الثلاثي كلم، وهو القول أو اللفظ أو كلمة، وهي اللفظ الذي يتألف من أصوات منطوقة على هيئة حروف وتدل على ، وهي الاصطلاح:

قال ابن خلدون :علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد عن مذاهب السلف و عقائد أهل السنة"

هنا ابن خلدون في تعريفه يذهب إلى أن علم الكلام يخص فقط " أهل السنة دون غيرهم ، أو هذا ما يفهم من تعريفه ، وفيه ما فيه من التحجير.

الفرابي:

"بأنه صناعة يقتدر بها للانسان على نصرة الراء و الفعال المحدودة التي صرح واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل "

هذا التعريف كذلك معنى قد يشغب عليه قوله " تزييف كل ما خالفها " مما يعطي الدلالة على القصد إلى تشويه الآخر وهو أمر يخرجه عن الموضوعية

-وعلم الكلام هو علم خاص بالمسلمين منشأ وتطورا و يختلف عن الفلسفة من حيث أنه يتعلق بدراسة وبحث المسائل الإيمانية والدفاع عنها بخلاف الفلسفة التي تبحث المعرفة بصفة عامة ومطلقة.

لم تكن للطائفة المعتزلة قبل أن يعتزل واصل بن عطاء حلقة العلم التي كان يؤطرها الإمام الحسن البصري "110 هـ -128 م" لها منحى مستقل ولا كيان محايد بل كانت جزء من الجسم الإسلامي الواحد . بل كانت ضمن ذلك الجيش الذي يرابط على ثغور الإسلام يدافع بكل موضوعية عن عقائده ومعارفه الإيمانية،وكان رجالاتها محط اهتمام من قبل السلطة الزمنية القائمة آنذاك. فكان الخلفاء يولون مشايخ المعتزلة بصفتهم علماء الإسلام للمناصب الدينية كالقضاء وقد يرسلونهم لتمثيل الدولة وفودا إلى الدول الأخرى، كما كان لهم حضوة كبيرة كسائر العلماء النحو والتاريخ والفقه والطب وغيره،إلا أن هناك مرحلة فاصلة في مسيرة هذه الحركة العقلية أخرجتها من مجال العلم والنظر إلى السياسة والاصطدام بالعامة، وذلك لما انزلق زعيمها المقرب من الخليفة في خطء جسيم اتهمت بموجبه ومن ورائه جميع الحركة العقلية الإسلامية بالسلطوية و كانت ضحية الصراع السياسي الذي خسرت فيه مرغمة ، فقد ظهر للعلن أراء المعتزلة.

بعد هذا الظهور تاريخا للحركة رغم أن لهذه الآراء ماض وسلف، ولكن السياسية هي التي عجلت وسرعت باستعداء خصومها وتحريض معارضيها.

فقد ظهر الخلاف والاعتراض على جملة من المسائل العلمية سواء ذات الخلفية لغوية أو منهجية أو نصية، فأول الاعتراض على منهج البحث والدراسة الاعتزالي بدا برفض غيرهم لتقديمه للعقل على النص والإفراط في إعماله دون ما ضوابط وظهرت الدعوة إلى تقديم الشرع على العقل

واتهموا بالتذرع بتقديم العقل للتحلل من الشرعي رغم أن المعتزلة يرون أن العقل وسيلة للبحث والفهم والاستنباط. كما يتهمهم خصومهم بانتحال منهج بعيد عن الشرع في القواعد والأسس والوسائل والغايات.

أما في مجال التعامل مع النص القرآني في ما يتعلق بصفات البارئ سبحانه وتعالى فإن خصوم المعتزلة يحملونهم وزر الإفراط في التأويل إلى درجة التعطيل في الوقت الذي يدعي المعتزلة أنهم ينفون عن كتاب الله تعالى ما يوحي إلى معنى الشبه والتجسيم للذات العلية .

لكن لم يكن هذا الخلاف مصدر شفاف بل محط حجاج ومناظرة إلى أن تبنى الخليفة المأمون مقولة خالق القران وحمل الناس على اعتناقها هنا، تحول الأمر إلى شكل جديد من الخلاف أدى إلى ظهور جدار موحد ضد هذه المقولة في صورة معارضة النظام القائم، ودخل بذلك الاعتزال وما يمثله من مسيرة عقلية لها إرثها وأثرها في الساحة الفكرية إلى تيار سياسي وتحول من تيار فكري يدرس المسائل الدينية والإيمانية في إطار النظر والفكر إلى املاءات لغوية يفرض الاعتقاد بالمقولات الكلامية على الناس بقوة السلطة وإحكام القضاء.

لقد كان عمر ما سمي "بالفتنة" فتنة خلق القرآن 19 عاما. حينما تمكن من استغلال الخطوة الكبرى لدى الخليفة المأمون والمعتصم والواثق لحمل الناس على اعتقاد أفكارهم وامتحنوا العلماء وكان من بين الذين تعرض للسجن و العقاب احمد بن حنبل ، لكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك مسمى "السنة والجماعة"

قبل هذا الزمن بل حمل خطاب الخليفة المأمون الملزم للقضاة بالقول بخلق القرآن إلى عامله على بغداد إسحاق بن إبراهيم " (و قد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم و السواد الأكبر من حشو الرعية ، وسفلة العامة، ممن لا نظر له و لا روية و لا استضاءة بنور العلم وبرهانه، أهل جهالة بالله تعالى وعمًى عنه،وضلالة عن حقيقة دينه،وقصورٍ أن يقدروا الله حق قدره،ويعرفوه كنه معرفته،و يفرقوا بينه و بين خلقه.

و ذلك أنهم ساووابين الله وبين خلقه ،و بين ما أنزل من القرآن. فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله ويخترعه. وقد قال تعالى إناجعلناه قرآناً عربياً فكلما جعله الله فقد خلقه كما قال: وجعل الظلمات و النور وقال:(نقص عليك من أنباء ما قد سبق فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها. وقال: أحكمت آياته ثم فصلت و الله محكم كتاب هو مفصله ، فهو خالقه و مبتدعه. ثم انتسبوا إلى السنة ،و أنهم أهل الحق والجماعة ، و أن من سواهم أهل الباطل و الكفر. فاستطالوا بذلك و غروا به الجهال ، حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب و التخشع لغير الله إلى موافقتهم ، فنزعوا الحق إلى باطلهم ، و اتخذوا دون الله وليجة إلى ضلال هم.)[50]

لم يتبلور كيان السنة والجماعة الحالي لمجرد ثبات الفقهاء والقضاة الذين رفضوا إملاءات السلطة القائمة وتدخلها في معتقدات الناس، حتى ظهرا أبو الحسن الاشعري هذا الرجل الذي نشأ في حضن المعتزلة وتربى على مبادئهم وأفكارهم إلى أن تحلل من الفكر الاعتزالي وساعده ماضيه الاعتزالي في دحض قواعدهم فكان بحق تحوله عن الاعتزال آذان بميلاد هذه الطائفة وهو ما يظهره في قوله بارتباطه بأحمد بن حنبل شخصيا فقال:

(... فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة و القدرية و الجهمية و الحرورية و الرافعة و المرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون

50 -تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي/كتاب:تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام /دار النشر: دار الكتاب العربي.مكان النشر: لبنان/ بيروت.سنة النشر: 1407هـ - 1987م/تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري/ الطبعة: الأولى /ج15/ ص20

قيل له :

قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا عز و جل و بسنة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و ما روى عن السادة الصحابة و التابعين و أئمة الحديث و نحن بذلك معتصمون و بما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله و جهه و ر فع درجته و أجزل مثوبته – قائلون و لما خالف قوله مخالفون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق و دفع به الضلال وأوضح به المنهاج و قمع به بدع المبتدعين و زيع الزائغين و شك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم)[51] فهذا الإقرار من الأشعري إمام أهل السنة و الجماعة المتكلم يمهد القول بدعوى الشرعية العقائدية السنية ذات الخلفية الكلامية التي تجمع المالكية والشافعية و الحنبلية.

فهذا الإقرار من أبي الحسن ألأشقري إمام أهل السنة و يمهد القول بدعوى الشرعية العقائد السنية ذات الخلقية الكلامية منصوبة في مذهب المتكلمة الشافعية والمالكية والحنبلية.

فبالعودة إلى تاريخ الصراع المرير بين الطوائف ، و بالتركيز على المواضيع الخلافية ، أو التي تعد بمثابة الدوافع و الأسباب الأساسية لهذ الخلاف الذي أدى إلى التمايز و الاسطفاف و التفرق نجد العامل الأول هو الاختلاف حول المسائل الكلامية .

يقول أبو الفرج بن الجوزي :

(ثم دخلت سنة تسع و عشرين و اربعمائة فمن الحوادث فيها انه في يوم الجمعة التاسع من جمادي الاول بحضر ابو الحسن ابن القزويني الزاهد الجامع و الخطيب على المنبر فاختلط الناس بين آت معه و ناهض لتلقيه و متشوق الى رؤيته و و قع الصياح فظن قوم انه للصلاة فقاموا و وقفوا طويلا الى أن عرفوا الحال

51 – المؤلف : علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن /كتاب: الإبانة عن أصول الديانة / الناشر : دار الأنصار – القاهرة/الطبعة الأولى ، 1397/تحقيق : د. فوقية حسين محمود/عدد الأجزاء : 1

فجلسوا و قعد القزويني عند المنبر فلما قضيت الصلاة و ضع منبر من وراء الشباك دون المقصورة فوقف عليه ا بن المذهب الواعظ فحمد الله و أثنى عليه و قرأ احاديث الرؤية انكم ترون ربكم فناداه ابن التميمي الواعظ اذكر في كل باب حديثا فلم يلتفت الى قوله فقام التميمي فتخطا رقاب الناس و صعد على المنبر واخذ الكتاب من يده و قرأ احاديث الصفات ثم التفت الى ابن القزويني فقال ان رأى الشيخ الزاهد أن يقول قولا لاتسمعه الجماعة فيروونه عنه فقال ابلغهم عني أن القرآن كلام الله و ان الحديث البدعة والمتكملين على ضلالة فذكر نحو هذا ...)[52]

إن هذه الرواية التاريخية بما تضمنته من إشارة إلى عمل المحدثين على نشر أحاديث نبوية مخصوصة في مسائل كلامية هي محل نظر عقلي ، ففي الوقت نفسه تحمل على المتكلمين و تسجل أنهم كانوا هدفا للسب و التضليل من قبل المحدثين ، ولكنها توميء إلى أن المتكلمين كان لهم الأثر الأكبر و الدور الأبرز ، ولولا المسائل الكلامية لما انقسم الناس و ظهرت الطوائف ومن بينها " السنة والجماعة"

المبحث الثاني : تنازع مسمى السنة والجماعة بين المتكلمين [الاشاعرة والماتردية والمحدثين]

لقد وقفنا على أن أهم التشكيلات التي تكون تركيبة " أهل السنة والجماعة " أربع تشكلات وهي أهل التصوف ، و أهل الفقه – المذاهب الأربع – والظاهرية ، و أهل الكلام الأشعرية و الماتردية ، وأهل الحديث ، إلا أنه ورغم التوحد ضد الطوائف الأخرى ، نقصد الشيعة و الخوارج ، و الباطنية ممن ينتسب إلى الاسلام فهناك صراع خفي ، هذا الصراع تغذيه النزعة السلطوية ليست سلطة الحكم ، ولكن حب التسلط بتبنى السنة والجماعة و الهيمنة من خلالها على باقي التشكيلات . فقد نرى صراعات بين أهل الفقه و الصوفية ، كما نرى نزاعات بين المتكلمين و أهل الحديث ، ولا تسلم العلاقة بين المحدثين و الفقهاء من أجل تصدر المشهد الاجتماعي ولاخذ بزمام السلطة .

52 – عبد الرحمن بن الجوزي المصدر السابق ج8 ص98

فالأشاعرة هم صدر الطائفة السنية ، وينتسبون إلى الشيخ [53] (على بن إسماعيل بن أبى بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة ابن صاحب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أبى موسى عبد الله بن قيس عرف بلقب أبو الحسن الأشعرى البصرى أستاذ طريقة أهل السنة والجماعة وشيخ المتكلمين السنة و يلقب ناصر السنة ومؤيدها ، وهو في نظر أتباع " أهل السنة و الجماعة " المنقذ الذي أرسله الله تعالى لحماية الدين ، ووضعوا في ذلك قصص و أحاديث ونسبوا منامات إلى رسول الله صلى اللع عليه وسلم – فيها تمجيد وتزكية لأبي الحسن الأشعري :

(ويحكى من مبدأ رجوعه أنه كان نائما فى شهر رمضان فرأى النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال له يا على انصر المذاهب المروية عنى فإنها الحق فلما استيقظ دخل عليه أمر عظيم ولم يزل مفكرا مهموما من ذلك وكانت هذه الرؤيا فى العشر الأول فما كان العشر الأوسط رأى النبى (صلى الله عليه وسلم) فى المنام ثانيا فقال ما فعلت فيما أمرتك به

فقال يا رسول الله وما عسى أن أفعل وقد خرجت للمذاهب المروية عنك محامل صحيحة

فقال لى انصر المذاهب المروية عنى فإنها الحق

فاستيقظ وهو شديد الأسف والحزن وأجمع على ترك الكلام واتباع الحديث وملازمة تلاوة القرآن

فلما كانت ليلة سبع وعشرين وكان من عادته سهر تلك الليلة أخذه من النعاس ما لم يتمالك معه السهر فنام وهو يتأسف على ترك القيام فيها فرأى النبى (صلى الله عليه وسلم) ثالثا فقال له ما صنعت فيما أمرتك به

53 - المؤلف :تاج الدين علي بن نصر السبكي/كتاب طبقات الشافعية الكبرى / الناشر فيصل عيسى البابي الحلبي 1383هـ - 1964 م/ ط الثانية1413/عدد الاجزاء 10 / ج 3 / ص 347

فقال قد تركت الكلام يا رسول الله ولزمت كتاب الله وسنتك

فقال له أنا ما أمرتك بترك الكلام إنما أمرتك بنصرة المذاهب المروية عنى فإنها الحق) [54]

كما بالغوا في إطرائه حتر رفعوه إلى مصاف الصحابي الجليل " أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

- قالوا وكان الشيخ رضى الله عنه سيدا فى التصوف واعتبار القلوب كما هو سيد فى علم الكلام وأصناف العلوم
- وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايينى كنت فى جنب الشيخ أبى الحسن الباهلى كقطرة فى جنب البحر وسمعت الباهلى يقول كنت فى جنب الأشعرى كقطرة فى جنب البحر

وقال لسان الأمة القاضى أبو بكر أفضل أحوالى أن أفهم كلام أبى الحسن

- قال أبو الفضل السهلكى حكى لنا الفقيه الثقة أبو عمر الرزجاهى قال سمعت الأستاذ الإمام أبا سهل الصعلوكى أو الشيخ الإمام أبا بكر الإسماعيلى والشك منى يقول أعاد الله تعالى هذا الدين بعد ما ذهب يعنى أكثره بأحمد ابن حنبل وأبى الحسن الأشعرى وأبى نعيم الإستراباذى كانت ولادته سنة ستين ومائتين وكان أولا قد أخذ عن أبى على الجبائى وتبعه فى الاعتزال.

يقال أقام على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماما فلما أراده الله لنصر دينه وشرح صدره لاتباع الحق غاب عن الناس فى بيته خمسة عشر يوما ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ولم يترجع عندى شيء على شيء فاستهديت الله تعالى

54 تاج الدين السبكي المصدر السابق ج 3 / ص 347

فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب التى ألفها على مذاهب أهل السنة إلى الناس[55].

كما يذكر عنه أنه مكث عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العتمة وكان يأكل من غلة قرية وقفها جده بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى على نسله

قال :وكانت نفقته فى كل سنة سبعة عشر درهما كل شهر درهم وشيء يسير

وقد اجتمعت عليه الطائفة وانكبت على كتبه و بسط العلماء القول في العقائد على منهجه ، واقتفوا آثاره في التقعيد و التأسيس (فيقال كل سنى لا يكون عنده كتاب التبيين لابن عساكر فليس من أمر نفسه على بصيرة)[56]والصحيح أن وفاة الشيخ بين العشرين والثلاثين بعد الثلاثمائة والأقرب أنها سنة أربع وعشرين وهو ما صححه ابن عساكر وذكره أبو بكر بن فورك ويقال سنة نيف وثلاثين

أما الماتريدي فنسبة إلى الشيخ أبي منصور الماتريدي (333هـ-944 م)

وهو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي[57]: أحد الأعلام الكبار من علماء الكلام. نسبته إلى ما ترید (محلة بسمرقند) ترك مؤلفات كثيرة منها على الخصوص

- (التوحيد)
- (أوهام المعتزلة)
- (الرد على القرامطة)
- (مآخذ الشرائع) في أصول الفقه،

55تاج الدين السبكي المصدر السابق ج 3 / ص 347

56 تاج الدين السبكي المصدر السابق ج 3 / ص 347

57 ترجمته باختصار من كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي الناشر:دار العلم للملايين 2002م ط 15عدد الأجزاء8 - ج7 /ص 19

- كتاب (الجدل)
- (تأويلات القرآن)
- (تأويلات أهل السنة) الاول منه،
- (شرح الفقه الاكبر المنسوب للامام أبي حنيفة ، وكان رحمه الله تعالى على مذهب أبي حنيفة النعمان في الفه .

إن السواد الأعظم من عامة المسلمين هم الاشاعرة و الماتريدية قديماً أو حديثاً بإجماع العلماء من كل الطوائف ، فالحنفية وهم اتباع المذهب االفقهي الذي أسس – أبو حنيفة النعمان – بالعراق و تبناه الخلفاء العباسيين دهرا من الزمن كلهم على الجملة والتفصيل ماتريدية، وفي المقابل فإن اتباع المذهبين المنتسبين لإمامين الكبيرين مالك بن أنس و تليذه محمد بن إدريس الشافعي على الجملة و التفصيل كذلك أشاعرة ويتبع معظم الحنابلة الأشاعري ويتبع البعض الآخر أهل الحدجيث .

هذا الذي تعارف عليه الناس منذ ظهور " طائفة أهل السنة و الجماعة " على سطح الأحداث . وقد تركوا مصنفات عجت بدعوى الانتساب إلى الأشعري ، ووضعوا مؤلفات وموسوعات لا زالت تتداول عبر قرون، وتدرس على مر الأجيال بحيث لا يمكن أحد أن يترقى في سلم التفقه والتعلم إلا من خلالهم وعن طريق كتبهم.

ولا يتوان أئمة " أهل السنة و الجماعة " من الصدح عاليا وبكل فخر أنهم أشاعرة نذكر من ذلك :

- قال الإمام الجلال الدواني رحمه الله تعالى[58]:

"الفرقة الناجية، وهم الأشاعرة أي التابعون في الأصول للشيخ أبي الحسن... فإن قلت: كيف حكم بأن الفرقة الناجية هم الأشاعرة؟ وكل فرقة تزعم أنها ناجية؟ قلت سياق الحديث مشعر بأنهم –يعني الفرقة

58 – المؤلف:حسن شهاب الدين /كتاب:شرح العقائد العضدية/د:دار النشر/تحقيق:نزارحمادي/ط1ـ 2011 /ج1/ص34

الناجية– المعتقدون بما روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، وذلك إنما ينطبق على الأشاعرة، فإنهم متمسكون في عقائدهم بالأحاديث الصحيحة المنقولة عنه صلّى الله عليه وسلّم وعن أصحابه، ولا يتجاوزون عن ظواهرها إلا لضرورة، ولا يسترسلون مع عقولهم كالمعتزلة ."

- وقال الإمام أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى في: "وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة، وعامة أصحاب الشافعي على مذهبه، ومذهبه مذهب أهل الحق[59]. " ولا تكاد تجد كاتبا أو مؤلفا ينتمي إلى المذاهب الأربعة أو أحد علماء التصوف يخلو كتابه أو مؤلفه حسن الثناء على علماء الكلام الأشاعرة يقول ابن حجر الهيتمي المحذث صاحب فتح الباري في شرح صحيح البخاري عن الإمام أبي الحسن الأشعري والباقلاني وابن فورك وإمام الحرمين أبي المعال الجويني والباجي و العضد الأيجي وغيرهم ممن أخذ بمذهب الأشعري، هم أئمة الدين وفحول علماء المسلمين، فيجب الاقتداء بهم لقيامهم بنصرة الشريعة وإيضاح المشكلات وردّ شبه أهل الزيغ وبيان ما يجب من الاعتقادات والديانات، لعلمهم بالله وما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه..... والواجب الاعتراف بفضل أولئك الأئمة المذكورين في السؤال وسابقتهم، وأنهم من جملة المرادين)[60] بل يرقى بهم إلى درجة من القداسة حتى يجعلهم ممن بشر بهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قوله "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"، فلا يعتقد ضلالتهم إلا أحمق جاهل أو مبتدع زائغ عن الحق، ولا يسبهم إلا فاسق، فينبغي تبصير الجاهل وتأديب الفاسق واستتابة المبتدع" اه[61]..

ومن أئمة الحنابلة الذين مدحوا هؤلاء الأعلام ، ولم يروا في تقليدهم حرج ، ولا ريبة شيخ الحنابلة السفاريني وهو يعرف " أهل السنة والجماعة ":

---

59 تاج الدين السبكي المصدرالسابق ج3/ص376

60 – أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي كتاب:الفتاوى الحديثية /الناشر:دار المعرفة بيروت/د:ط/د:تاريخ / ص205

61 – أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي المصدر السابق /ص 205

(أهل السنة والجماعة ثلاث فرق :

الأثرية، وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

والأشعرية، وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله.

والماتريدية، وإمامهم أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى. ")[62]

ومن شيوخ المالكية شارح مختصر خليل الفقهي أحمد الدردير وعمدة مذهب الإمام مالك قال:

(أئمة الأمة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فرق، فرقة نصبت نفسها لبيان الأحكام الشرعية العملية وهم الأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين، ولكن لم يستقر من المذاهب المرضية سوى مذاهب الأئمة الأربعة، وفرقة نصبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التي كان عليها السلف وهم الأشعري والماتريدي ومن تبعهما، وفرقة نصبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ما ذهب إليه الفرقتان المتقدمتان وهم الإمام أبو القاسم الجنيد ومن تبعه، فهؤلاء الفرق الثلاثة هم خواص الأمة المحمدية ومن عداهم من جميع الفرق على ضلال وإن كان البعض منهم يحكم له بالإسلام، فالناجي من كان في عقيدته على طبق ما بينه أهل السنة)[63]

ورغم هذه النقول المستفيضة ، والتوافق المأثور عن أئمة الدين إلا أن، هناك من لايرى للأشاعرة و الماتريدية وأهل التصوف أي انتماء لأهل السنة و الجماعة بل يراهم دخلاء عليها ، محرفين لعقائدها ، يقول أحد زعماء الوهابية :

62 محمد بن أحمد السفاريني الاثري الحنبلي/ كتاب: لوامع الأنوار البهية /الناشر:مؤسسة الخافقين دمشق 1982 م /د:ط/عدد الأجزاء 2 /ج1 / ص 73

63 ــ أحمد الدردير /كتاب:خريدة التوحيد / الناشر:دار ومكتبة الهلال /ط1 /1986/ص 194

(إنه في القرن الثالث انتشرت كتب الأشاعرة وتحول الناس لها وكتبت بعض الكتب لنصر مذهب السلف ولكنها أميتت تماما بعد انقضاء القرن الثالث واضمحلت ولم يُعترف بها أبدا وأصبحت لا تدرس إلا نادرا وبالخفاء!!!!! وانتشر مذهب الأشاعرة أيما انتشار وانتشرت كتبه والدروس على العقيدة الأشعرية، ولم يبق أحد على عقيدة الإمام أحمد إلا قلة، وكاد أن يضمحل، حتى خرج القاضي أبو يعلى وقد تأثر بهم وألف كتبا ورُمي بالتشبيه، وأنكر عليه أهل زمانه، وهذا دليل على غربة أهل السنة في ذلك العصر وبالتحديد القرون الرابع والخامس والسادس والسابع، فلم يكد يظهر فيها أحد ينصر المعتقد الصحيح إلا بالخفاء، وهكذا بقية هذه العصور، وهذه القرون كان السائد فيها والمنتشر العقيدة الأشعرية، وكان الحنابلة طوال هذه الفترة يتعلمون العقيدة الأشعرية مثل ابن قدامة، ولذا فإن أساتذة ابن قدامة وأصحابة وتلامذته وزملاءه من الشافعية والمالكية والحنفية كلهم أشاعرة)[64]

المبحث الثالث: البعد الأيديولوجي لمدلول السنة والجماعة

تعريف الإيديولوجية:

ترتبط الأيديولوجيا في مفهومها ودلالتها بالعصر الراهن الذي تظهر فيه ,حيث تظهر صورة المشكلات السائدة في تلك الفترة وذلك العصر التي انشغل الفكر الانساني بها ,ومن هنا فإننا نعني بالاديديولوجيا تلك الرؤيا الفكرية التي تبلورت جراء توظيف المفاهيم الدينية سياسيا واجتماعياوبالأخص مفهوم السنة والجماعة لما له من تأثير جامع لأبعاد مختلفة كالهوية ,الإنتماء , السياسة , الاعتقاد....إلخ.

ومدلول الايديولوجيا الذي نختاره هو ما يقابل مفهوم الحق أي ما يطابق ذات الانسان في الكون أو بمفهوم آخر تصور الانسان للكون من خلال ذاته.

---

64 ــ ابن جبرين /كتاب: الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد /المحقق:محمد بن حمد المنيع /الناشر: دارطيبة للنشر والتوزيع1418هـ ـ1998م /د:ط/ ص15

تطلق الايدلوجيا ويعنى بها علم الأفكار .

يقول عبد الله العروي :

(إن كلمة الايديولوجيا دخيلة على جميع اللغات الحية تعني لغويا في أصلها الفرنسي علم الأفكار لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي إذ استعارها الألمان وضمنوها معنى آخر ثم رجعت إلى الفرنسية ، فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصلية.)[65]

يعنى هذا أن مدلول مفهوم الأيديولوجيا يعتريه الواقع البيئي الذي يوظف فيه ، وعليه فإن تبيئة المصطلح يلزم مراعاتها ، فالمجتمع الشرقي بثقافاته المختلفة و التي يجمعها الإسلام ، تحملنا على اختيار تعريف العروي للإيديولوجيا (نقول إن فلانا ينظر إلى الأشياء نظرة أيديولوجية ، نعنى أنه يتخير الأشياء و يؤول الوقائع بكيفية تظهرها دائما أنها مطابقة لما يعتقد أنه الحق)[66]

فهذا المدلول لمفهوم الايديولوجا هو الذي تتشكل من خلاله الرؤى لمفهوم " السنة والجماعة " ويبين التمايز و الفوارق التوظيفية لمختلف التيارات السنية المعاصرة, فقد مرت طائفة "أهل السنة والجماعة" بمراحل تاريخية طويلة تعرضت خلالها لتقلبات وتحديات واجهت مسيرتها كتيار سياسي يمثل السلطة الفعلية والقائمة على مر التاريخ الإسلامي و كذلك التمثيل الفعلي للإسلام الرسمي وهذا احتاج إلى وجود منهج مستقل عن الطوائف الأخرى في البحث والدراسة، ضف إلى ذلك الضرورة الملحة لتوافر المراجع والمصادر التي جمعت وحوت كل المعارف السنية مما أغنى مكتبة السنة والجماعة بتراث جد ثري وغني في جميع مناحي الحياة وفي كل مواضيع المعرفة.

---

[65] عبد الله العروي /كتاب: مفهوم الايديولوجا /الناشر: المركز الثقافي الاسلامي / ط5 /سنة 1993م / ص 9

[66] – عبد الله العروي المصدرالسابق /ص 10

إن هذا التراكم المعرفي أثمر تنوعا في التيارات الفكرية ومدارس مختلفة تتفق على المصدر المنزل المتمثل في الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وشظهر شان هناك شبه اجتماع على أن أهل السنة والجماعة تتشكل من:

- من حيث العقيدة – شمل المذهب الأشعري و الماتريدي و باعتبارهم يمثلون الخلف وأهل الحديث والأثر باعتبارهم يمثلون السلف على قاعدة التأويل والتفويض.

- وأما في مجال الفقه يعتمد أهل السنة والجماعة في استمداد الأحكام التفصيلية على المذاهب التالية :

- المذاهب الأربع التي تعتمد على القياس كمصدر للتشريع زيادة على الكتاب والسنة والإجماع.
- المذهب الظاهري والذي يعتمد منهج الاعتماد على ظواهر النص ويرفض العمل بالقياس.
- مذهب أهل الحديث الذي يعتمد على تقديم الآثار على القياس والعمل.

- وأما في مجال التصوف فقد اشتهر التصوف السني كأحد أهم التشكلات البنوية التي تنتمي إلى طائفة أهل السنة والجماعة بجميع طرقها وولا يزال أعلام التصوف في عداد القدوة السلوكية والروحية على مر التاريخ الإسلامي لعامة أهل السنة والجماعة.

هذا الإرث الجامع لتشكلات مختلفة امتزجت في جسد واحد وانصهرت في ذات المكون، أهل السنة والجماعة على مر عشرات القرون ، يتعرض إلى تفكك مقصود من طرف تيارات صاعدة ،ففي العصر الحاضر طرأت تسميات جديد على المجتمع الإسلامي- وهي الجماعات الدينية ذات الخليفة السياسية، أو ما يصطلح عليه – الإسلام السياسي والتي تشترك في أمور مع الطوائف الدينية وتفترق عنها في أخرى:

-أولا البعد السياسي في النشأة : يكاد يكون العامل السياسي المشترك الملحوظ بين الطوائف وجماعات الإسلام السياسي هو الذي كان السبب الأول في ظهور النحل وأهل المقالات كذلك يعتبر هو المغذي الأساسي لوجود واستمرار حركات الإسلام السياسي الجديد.

-تعد حركات الإسلام السياسي امتداد للطوائف والنحل القديمة، حتى وإن اختلفت عنها في المنهج والتصور أو الشكل، من جهة أنها تتبنى مقالات بحسب المجتمع والبيئة.

-تختلف جماعات الإسلام السياسي عن الطوائف في أمر ملحوظ وهو توظيف التراث لتبرير الخطاب وشرعنة الوجود.، فحركات الإسلام السياسي بصفة عامة و ما يكاد يغلب عليها أنها تعمل على تعميم فهمها وتصورها المجتزئ على جميع المسلمين، وتسعى جاهدة لإلزام جميع الناس على تغيير موروثاتهم الإيمانية والسلوكية والاجتماعية و العوائدية واعتناق تصورها. في هذا المجال نلاحظ أن الدارسين للحركات الإسلامية يركزون على النظرة الإيديولوجية وعلاقتها بالدين. وهنا نفتح نافذة بحثية خاصة في إطار الطائفة السنية وما يجري داخلها من صراعات ، ونزاعات من أجل تبنى " السنة والجماعة " كمرجعية واحتكار تمثيلها بين الجماعات الإسلامية المعاصرة.

عند ظهور حركة محمد بن عبد الوهاب بنجد بجزيرة العرب وبعدها حركة الإخوان المسلمين بمصر كحركتين كتب لهما التوسع والانتشار في العالم الإسلامي – تغلغل الفكر الحديث في الجماعات الإسلامية بداية من الجماعة الإسلامية بالهند وباكستان بزعامة ابو الاعلى المودودي مرورا بالحزب الإسلامي بالشام فلسطين ولبنان و سوريا و إلى جماعة الدعوة التبليغ بنغلاديش إلى جماعة البر والإحسان بالمغرب وحزب الرفاه بتركيا إلى الحركات السلفية والعلمية والجهادية في جميع العالم الإسلامي.

هذه الحركات كلها تنتمي إلى الطائفة السنية ولكن لا تتفق في ما بينها ، و السبب في ذلك أن كل واحدة منها تنفي السنة عن غيرها وتحتكرها لوحدها ، لا يمكن الجزم بأن هذا الصراع في الطائفة السنية هو وليد الزمن الراهن ، و إملاءاته الظرفية ، بل هو متجذر في الذاكرة الجماعية لشعب و أطراف هذه الطائفة ، مما

اضطر زعماؤها للتواري بالتمويه عن أرائهم ، و ادعاء الانتساب إلى الفرق الغالبة حفظا لأنفسهم و خوفا من القتل ، فلا يتوان المؤرخ الحنبلي عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ) من خلع وصف السنة عن إمام أهل السنة و الجماعة الأشعري حيث يقول (إن أبا الحسن الأشعري عندما خالف أهل السنة في موقفه من كلام الله تعالى ، أصبح خائفا على نفسه ،يبحث لها عن مجير يستجير به ، خوفا من القتل . و عندما لُعنت الرافضة و المعتزلة زمن الخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ) ، رُفع أمر أبي بكر الباقلاني الأشعري إلى الخليفة فهمّ به ثم تركه ،و كان -أي الباقلاني -يختفي و يتستر بمذهب الإمام أحمد ، و يُظهر موافقته له.

و ثانيا إنه كان على رأس المعارضين للأشعري ببغداد طائفة من الحنابلة بزعامة شيخها أبي محمد الحسن البربهاري(ت 329هـ) ، فهي لم تعترف به عندما أعلن انتسابه لإمامهم أحمد بن حنبل ، ورفضته و أبغضته و ضللته و شتمته و بدّعته و كذّبته ،و حاولت قتله)[67]

هذه الظروف الخطيرة ولدت توجها جديدا لدى العلماء و الباحثين ، هذا التوجه يعتمد على قراءة الوحي وفق التصور الغالب ، وهنا ستولد الأيديلوجيا ، التي بقي آثارها إلى يومنا هذا .

إن الصراع الطائفي – السني الشيعي – اليوم في العالم الاسلامي يرتكز في الأساس على الجبهة الفكرية أكثر منه في الجبهات الأخرى ، السياسية و الإعلامية وهو ما أدى إلى التغطية عن الصراع الإيديولوجي الخفي و البيني في الطائفة " أهل السنة و الجماعة " .

67 – خالد كبير علال كتاب: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث – خلال القرنين :5-6 الهجريين- مظاهرها ، آثارها ، أسبابها ، و الحلول المقترحة لها – دار الإمام مالك الطبعة الأولي -البليّدة -الجزائر -1426هـ. 2005م –ص11و12

الخـــــاتمـــــــة

الخاتمة:

إن الوضع الذي يعيشه الوطن العربي بالخصوص وماخلفه من تداعيات على الفرد و المجتمع قد اخذت

انقلابا كبيرا في الثقافة العامة أي النقية و هذا انعكس بالضرورة على تفكير الفرد وعاد به الي القرون الوسطي بعدما اصبح يتخندق مضطرا في مواجهة الطائفية غداة الاستقلال الوطني للاقطار العربية لم يظهر او لم يكن باديا أي تمايز بين مكونات و شرائح المجتمع، بل كان العمل الوطني يصبو الي تحقيق تنمية وطنية شاملة علي مستوي كافة المجالات الحياتية، من التعليم الي الصحة الي الثقافة الي أي حمولة ما يسمي بالربيع العربي. جاءت بمفاهيم وإصطلاحات خلقة حوادث جسيمة من هذه المفاهيم الخطيرة: "اهل السنة و الجماعة" و "الشيعة"

كمفهومين شغلا الساحة الفكرية بالخصوص للتأثيرات السلبية الكبيرة حيث اندفع كل طرف رافعا شارة الدفاع عن اهل السنة و الاخر للدفاع في مقابل الاخر أي يحمل شعار الدفاع عن آل البيت الشيعة و استدعى كل منهما التاريخ بما حوى. وعملة التاراة على تقسيم المجتمع المسلم الواحد الى معسكرين متنافسين متنابزين ومن هنا جاءت هاته الدراسة لتسليط الضوء على مسمى اهل السنة و الجماعة من حيث انه مفهوم له دلالاته الموضوعية ظهر بفعل أسباب و دوافع تاريخية و اجتماعية و سياسية ثم تطور على مراحل و حقب زمنية تبلور من خلالها حتى اكتمل تشكلة التام على ما هو علية الان في مركب يتكوم من جملة من الابعاد :

ـ البعد المعرفي الذي يستند الى المصادر و المراجع و كذا الرواد و الزعامات و الشخصيات التي مثلت هذا التيار.

ـ البعد السياسي الذي تغذيه شعارات عرفت بأهل السنة و الجماعة و مفاهيم و اصطلاحات لها مدلولاتها و مسمياتها.

ـ البعد الأيديولوجي الذي تجلى في حمل القراءات المختلقة للوحي"كتاب الله" في قراءة سنية و كذلك تطور الامر الى وضع منهج سني لقراءة التاريخ و الذات بصفى عامة.

لقد وقفنا على أهمية هذا الموضوع وقيمته العلمية التي تستمد من خطورة الخوض في هذا البحث ودراسته بطريقة مجردة من الذاتية ، ومفعمة بالموضوعية وهذا للحساسية المفرطة التي يكتسبها الموضوع والتي تشوب الطرح لشدة الصراع والنزاع القائم الذي لا يحتمل الإنحياز .

يمكن لنا أن نسجل جملة من الملاحاظات التي تستوجب الدراسة والبحث وتقتضي تسليط الضوء وهي :

-تعتبر طائفة السنة والجماعة الممثل الرسمي للإسلام منذ ظهور الطوائف ' فهل يصح ذلك على الفهم والتفسير للإسلام ؟

- عملت الأنضمة القائمة على الميل لنصرة إحدى الطوائف على الأخرى على مر التاريخ ' فهل يمكن أن تكون الطائفية صناعة سياسة بحتة ؟

- تحولت الطائفية من المنزع السياسي إلى التبني العقائدي ومن المواقف الظرفية حيال الأحداث والوقائع إلى قواعد إيمانية بخلفية دينية وهذا ما يفتح آفاقا للبحث والدراسة حتى تتشكل الصورة الكاملة للطائفة بصفة عامة وتضاء المواطن المظلمة والزوايا الخفية في حلقة .

قـــائمـــــة

المـــــــصـــادر والمـــــــــراجـــع

قائمة المصادر والمراجع:

- عبد اللطيف عبادة - جامعة قسنطينة - مناهج الحركات الإسلامية المعاصرة في التغيير : نقد وتقويم انطلاقا من فكر بن نبي الموقع المصدر: مجلة الموافقات (المعهد الوطني العالي لأصول الدين – الجزائر) العدد 3 جوان 1994

ـ المؤلف : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي/كتاب: الصحاح في اللغة/الناشر: دار العلم للملايين بيروت 1990 م/ ط4/عدد الأجزاء 7 /ج3 /ص 334

- المؤلف : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري/كتاب:تهذيب اللغة /تحقيق : محمد عوض مرعب /دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م /عدد الأجزاء:15/ الطبعة : الأولى

- المؤلف : محمد بن مكرم الأفريقي المصري بن منظور /كتاب: لسان العرب/ الناشر : دار صادر – بيروت /الطبعة الأولى/ عدد الأجزاء :15

- المؤلف : الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم /الكتاب : المفردات في غريب القرآن /الناشر : دار العلم الدار الشامية /مكان الطبع : دمشق . بيروت /سنة الطبع : 1412 هـ تحقيق : صفوان عدنان داودى

- المؤلف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : 256هالكتاب : الجامع الصحيح .(حسب ترقيم فتح الباري الناشر : دار الشعب – القاهرة الطبعة : الأولى ، 1407 – 1987 عدد الأجزاء : 9

- المؤلف : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد الكتاب : الفصل في الملل والأهواء والنحل الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة/د:ط/د:سنة النشر/ عدد الأجزاء : 5

- المؤلف : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور/ الكتاب : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية/ الناشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت /الطبعة الثانية ، 1977 /عدد الأجزاء : 1

- مقال : مفهوم الفرقة المسلمين عند العلماء المؤلف : د. مجيد الخليفة ص 1

موقع:majeed.net- www.dr صيد الخاطر تاريخ 1427/11/08هـ

ـــ المؤلف : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي . سنة الوفاة 794هـ /كتاب:البحر المحيط في أصول الفقه/ تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر/ الناشر : دار الكتب العلمية سنة النشر : 1421هـ - 2000م مكان النشر : لبنان/ بيروت /د:ط/عدد الأجزاء :4

- المؤلف : الإمام الحجة محمد بن إدريس الشافعي/كتاب: الرسالة/المحقق : أحمد محمد شاكر/ الناشر : دار الكتب العلمية /د:ط/ عدد الأجزاء : 1

- المؤلف : عبد الوهاب خلاف (المتوفى : 1375هـ /كتاب:علم أصول الفقه /الناشر : مكتبة الدعوة - شباب الأزهر/ عن الطبعة الثامنة لدار القلم /عدد الأجزاء : 1

- المؤلف: حسن بن محمد العطار/كتاب:حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، (المتوفى: 1250هـ)/ الناشر:دار الكتب العلمية بيروت/د:ط/د:تاريخ/ عدد الأجزاء 2

ـ المؤلف : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي/كتاب:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية /تحقيق: أحمد عبد الغفورعطار /الناشر:دار العلم للملايين بيروت /ط 4 /عدد الأجزاء 6

- المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني/كتاب:سنن أبي داود/ الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت/د:ط /عدد الأجزاء :4

ـــ المؤلف : أبو إسحاق الشاطبي/كتاب:الاعتصام . للشاطبى موافق للمطبوع /دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى – مصر/ عدد الأجزاء / 2

– المؤلف : هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم /كتاب: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة /الناشر : دار طيبة – الرياض 1411هـ/تحقيق : د. أحمد بن مسعودحمدان /ط 2/عدد الأجزاء : 4

– المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ/كتاب: مجموع الفتاوى /المحقق : أنور الباز – عامر الجزار/ الناشر : دار الوفاء/ الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م

– المؤلف : عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي/ الكتاب : سنن الدارمي/ الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت /الطبعة الأولى/ 1407 تحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي / الأجزاء : 2

– المؤلف : عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي/ الكتاب : سنن الدارمي/ الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت /الطبعة الأولى/ 1407 تحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي / الأجزاء : 2

– المؤلف: الشيخ جعفر السبحاني/كتاب: بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية / الناشر: مؤسسة الامام الصادق /الطبعة: الاولى 1427هـ

– المؤلف : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني/كتاب:أصول السنة /الناشر : دار المنار – الخرج – السعودية /الطبعة الأولى ، 1411هـ/ عدد الأجزاء : 1

– المؤلف:أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني (286 هـ)./ كتاب: البدع / تحقيق محمد أحمد دهمان/الناشر: صدر عن دار الصفا، القاهرة سنة1411 هـ/ط 1

- المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ كتاب: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي /الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف/د:ط/ عدد الأجزاء : 2

- المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.. دار النشر: دار الكتاب العربي. مكان النشر: لبنان/ بيروت. سنة النشر: 1407هـ - 1987م. الطبعة: الأولى.تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري

- المؤلف :أسعد وحيد القاسم كتاب: أزمة الخلافة و الإمامة وآثارها المعاصرة بيروت /ط 1 /1997م

- المؤلف :تقي الدين أحمد بن تيمية الكتاب :منهاج السنة النبوية / المحقق : د. محمد رشاد سالم/ الناشر : مؤسسة قرطبة / الطبعة الأولى/ عدد الأجزاء : 8

- المؤلف : الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى 748 هـ 1374 م /كتاب:سير أعلام النبلاء/ تحقيق : شعيب الارنؤوط /الناشر : مؤسسة الرسالة/ط الثالثة1405هـ ـ1985م/عدد الأجزاء 25

- المؤلف: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي /كتاب: جامع بيان العلم وفضله / دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي /الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم/ الطبعة الأولى 1424-2003 هـ /عدد المجلدات: 2

- المؤلف : أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي/ كتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغرب 1983م/ ط2 /عدد الأجزاء 08

- المؤلف : عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري/كتاب:تأويل مختلف الحديث /الناشر : دار الجيل - بيروت ، 1393 – 1972 /تحقيق : محمد زهري النجار /د:ط/عدد الأجزاء : 1

- تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي /كتاب:تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/دار النشر: دار الكتاب العربي. /مكان النشر: لبنان/ بيروت. سنة النشر: 1407هـ - 1987م/الطبعة:الأولى/تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري

- المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : 774هـ) البداية والنهاية حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه : علي شيري الناشر : دار إحياء التراث العربي الطبعة : طبعة جديدة محققة / الطبعة الاولى 1408 هـ - 1988م

- المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج /كتاب : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم /الناشر : دار صادر – بيروت /الطبعة : الأولى ، 1358هـ /عدد الأجزاء : 10

- المؤلف : علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن /كتاب: الإبانة عن أصول الديانة / الناشر : دار الأنصار – القاهرة/الطبعة الأولى ، 1397/تحقيق : د. فوقية حسين محمود/عدد الأجزاء : 1

- تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي/كتاب:تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام /دار النشر: دار الكتاب العربي.مكان النشر: لبنان/ بيروت.سنة النشر: 1407هـ - 1987م/تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري/ الطبعة: الأولى

- المؤلف :تاج الدين علي بن نصر السبكي/كتاب طبقات الشافعية الكبرى / الناشر فيصل عيسى البابي الحلبي 1383هـ ـ 1964 م/ ط الثانية1413/عدد الاجزاء 10

ـ كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي الناشر:دار العلم للملايين 2002م ط 15عدد الأجزاء8

- المؤلف:حسن شهاب الدين /كتاب:شرح العقائد العضدية/د:دار النشر/تحقيق:نزارحمادي/ط1ـ 2011

- أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي كتاب:الفتاوى الحديثية /الناشر:دار المعرفة بيروت/د:ط/د:تاريخ

ـــ محمد بن أحمد السفاريني الاثري الحنبلي/ كتاب: لوامع الأنوار البهية /الناشر:مؤسسة الخافقين دمشق 198م/د:ط/عدد الأجزاء 2

ـــ أحمد الدردير /كتاب:خريدة التوحيد / الناشر:دار ومكتبة الهلال /ط1 /1986م

ـــ ابن جبرين /كتاب: الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد /المحقق:محمد بن حمد المنيع /الناشر: دارطيبة للنشر والتوزيع1418هـ ـ1998م /د:ط/

ـــ عبد الله العروي /كتاب: مفهوم الايديولوجا /الناشر: المركز الثقافي الاسلامي / ط5 /سنة 1993م

- خالد كبير علال كتاب: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث - خلال القرنين :5-6 الهجريين - مظاهرها ، آثارها ، أسبابها ، و الحلول المقترحة لها - دار الإمام مالك الطبعة الأولي -البليّدة -الجزائر - 1426هـ . 2005م

قائمة المصادر والمراجع

الإهداء 2

شكر و تقدير 3

مقدمة:.....5

الفصل الأول :السنة والجماعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة.....10

المبحث الأول: تعريف السنة والجماعة لغة واصطلاحا 11

المبحث الثاني : السنة كمصدر تشريع 20

المبحث الثالث: الجماعة 25

الفصل الثاني : الواقع التاريخي للخلافة الإسلامية..... 40

المبحث الأول : ظهور مسمى أهل السنة والجماعة 42

المبحث الثاني : خلافة المتوكل ونشر الحديث..... 50

المبحث الثالث : البعد السياسي لمسمى أهل السنة والجماعة..... 56

المبحث الأول : أثر علم الكلام في نشأة اهل السنة والجماعة..... 63

المبحث الثاني : تنازع مسمى السنة والجماعة بين المتكلمين [الاشاعرة والماتردية والمحدثين] 68

المبحث الثالث: البعد الأيديولوجي لمدلول السنة والجماعة..... 75

الخاتمة:..... 81

قائمة المصادر والمراجع:..... 84